جامعة محمد بوضياف – المسيلة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم الفلسفة

معالم النهضة عند رفاعة رافع الطهطاوي

مذكرة مكملة لمقتضيات نيل شهادة الماستر في الفلسفة
تخصص: فلسفة عامة

إعداد الطالبة:
سعاد عزري

الأستاذ المشراف:
د/ بازة الحاج

السنة الجامعية: 2023-2024

شكر وعرفان

قال صلى الله عليه وسلم:﴿**من لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن أهدى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تستطيعوا فادعوا له** ﴾

وعملا بهذا الحديث واعترافا بالجميل، نحمد الله عز وجل ونشكره على إتمام هذا العمل

إلى جميع الأساتذة الأفاضل

إلى من مهد لنا طريق العلم والمعرفة

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف"بازة الحاج"

الذي رافقني طيلة

إهداء

أهدي أحرف مذكرتي

الى الشمعيتن اللتين أضاءت حياتي ابنتي رسيل وبلسم

الى روح ابي الطاهرة

الى افضل البشر امي الحبيبة

الى كل من أحبهم ويحبونني بصدق

الى رفيقتي و صديقتي الطيبة جميلةنويوة

مقدمة

مقدمة:

إن من أهم القضايا التي تناولها الفكر العربي الحديث والمعاصر مسألة النهضة، وقد جلبت هذه الأخيرة اهتمام العديد من المفكرين لبحثها ودراستها وفق منطلقات ومناهج مختلفة وهي كلها محاولات تسعى إلى وضع الأسس لقيامها، وذلك قصد إيجاد الحلول المناسبة والضرورية لقضايا التخلف والركود والتبعية، ومسايرة الركب الحضاري الذي تشهده أوروبا بوجه عام، ومن هؤلاء المفكر رفاعة رافع الطهطاوي الذي يعتبر رائد النهضة في مصر والعالم العربي، ومدرسة واسعة الأرجاء تخرجت منها تيارات هامة تصارعت طيلة الجزء الأخير من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

لعل ما يستحق التنويه إليه والتركيز عليه في هذه المقدمة، هو إظهار الدوافع التي من أجلها اخترنا هذا الموضوع المتمثلة في:

-اهتمامنا بقضايا الفكر العربي الحديث عامة، وقضية النهضة خاصة، على أساس أنها تحاول تخطي واقع المجتمعات العربية المزري، ومحاولة تحقيق انبعاث عربي إسلامي جديد.

- رغبتنا في الكشف عن بوادر هذه النهضة والبدايات الأولى لها، وذلك قصد التعرف على روادها الأوائل، ومدى الإسهامات التي قاموا بها لدفع عجلة الأمم العربية نحو مصاف الدول المتقدمة.

- قلة الدراسات عندنا حول هذه الشخصية الفذة، رغم أهميتها الكبرى في دفع المنطلقات الأولى لقيام نهضة عربية على أسس متينة تجمع بين مقومات ذاتية ومقومات خارجية استلهمتها من حضارات أخرى.

أما إشكالية البحث الرئيسية، فمضمونها كيف يمكن تحقيق النهضة من منظور رفاعة رافع الطهطاوي، ويمكن حل هذه الإشكالية إلى التساؤلات الأتية: **مـامفهوم النهضـة عنـد**

الطهطاوي؟، وماهي العوامل والشروط المؤدية لقيامها، وماهي اسهاماته في النهضة لبناء دولة حديثة ؟

ولمناقشة هذه الإشكالية استعنا بالمنهج التاريخي بصفة جزئية، والذي مكننا من تقصي عوامل النهضة، واتجاهاتها التي ساعدت على قيام نهضة عربية بوجه عام.

كما استخدمنا المنهج التحليلي الذي ساد أغلب أجزاء البحث، حيث عملنا على تجزئة إشكالية البحث الرئيسية، إلى مشكلات فرعية ساعدتنا على الوصول إلى الفهم الصحيح لهذه الإشكالية، والمبرر لاختيارنا هذا المنهج كونه عملية عقلية، تنتقل خلالها من العام إلى الخاص وهذا يمكننا من إدراك الفكرة الكلية ، وهي المشكلة التي يطرحها كل فصل، لكي ننتهي إلى عناصر أساسية وهي الإشكالات التي تندرج تحتها. ومما تجدر الإشارة إليه هو أن مؤلفات الطهطاوي كانت المادة الأساسية التي اعتمدناها في إنجاز هذا البحث، ونخص بالذكر الأعمال الكاملة له، والتي جمعها محمد عمارة، كذلك كتابه تخليص الإبريز في تلخيص باريز".

أما فيما يخص خطة البحث، فإننا اهتدينا إلى بنائه، إلى مقدمة، ثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة تضمنت التعريف بالبحث وإظهار أهميته والأسباب التي جعلتنا نختار هذا البحث، والإشكالية الرئيسية مع تفرعاتها الجزئية، والمنهج الذي اعتمدناه لمعالجة هذه الإشكالية مع الإشارة إلى بعض المصادر التي كانت عونا مساعدا على العمل، والخطة ثم الصعوبات.

أما الفصل الأول فجاء بعنوان إرهاصات النهضة العربية، فتناولنا فيه مفهوم النهضة في المبحث الأول، ، وتطرقنا في المبحث الثاني إلى عوامل النهضة العربية، وأخيرا الاتجاهات الفكرية للنهضة العربية في المبحث الثالث.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان ماهية النهضة عند رفاعة الطهطاوي،فقد بحثنا فيه مفهوم النهضة عند رفاعة الطهطاوي في المبحث الأول إذ أن مفهوم النهضة عنده يرتبط في أساسه بالتمدن والتقدم، ثم تناولنا المنلطقات الفكر النهضوي عند رفاعة الطهطاوي في المبحث الثاني

إذ بينا أثر كل من الثورة الفرنسية وجامع الزهر، وجهود فلاسفة التنوير آنذاك في فرنسا و اثرها في شخصية الطهطاوي، وأخيرا شروط النهضة عند رفاعة الطهطاوي في المبحث الثالث والتي حصرناها في شرطين هما الأخذ عن الحضارة الغربية، لكن في حدود الشريعة الإسلامية.

أما الفصل الثالث فجاء بعنوان دور رفاعة الطهطاوي في حركة النهضة العربية،حيث تناولنا في المبحث الأول إسهاماته في الفكر السياسي ويتضمن نظرته وتصوره للوطن الذي يقوم على الموقع الجغرافي، مبينين في ذلك كيف أن غريزة حب الوطن، تؤدي إلى النهضة به كما تضمن النظرية السياسية المستقاة من الحضارة الغربية، مركزين فيها على دور الدولة باعتبارها البنية السياسية للمجتمع، وحددنا الشروط التي يجب أن تتوفر فيها لتحقيق صورة الدولة الحديثة، كما يراها الطهطاوي، وتعرضنا لمفهوم الحقوق المدنية التي حصرها في الحرية والمساواة، ووضحنا دور كل منهما في النهضة السياسية، كما تناولنا في المبحث الثاني إسهاماته في الفكر الاجتماعي الذي تطرقنا فيه إلى مسألة هامة هي التغيير الاجتماعي محددين في ذلك نظرة الطهطاوي إلى هذه المسألة، والتي أعطاها بعدا ماديا أخلاقيا، لا شكليا ظاهريا، كما قدمنا نظرته الجديدة إلى المرأة المخالفة للواقع الذي كانت تعيشه في وقته، مناديا بتحريرها، لكن في حدود، فارتأينا للكشف عنها. ثم انتقلنا إلى المبحث الثالث والذي تناولنا فيه إسهاماته في الفكر التربوي، وحصرنا فيه الجهود التربوية للطهطاوي، المتمثلة في إشادته بالتربية باعتبارها طريق التمدن والديمقراطية، ودعوته إلى المساواة في التعليم بين البنين والبنات لتحقيق حياة أسرية متوازنة، وضرورة الإعداد الديني والسياسي لما يجلبه من نتائج إيجابية تخدم المجتمع، وقمنا بتعديدها والكشف عنها بعدها تطرقنا في المبحث الرابع إلى إسهاماته في الفكر العملي، إذ اقتصرنا فيه على المفهوم الجديد الذي أعطاه الطهطاوي للعلم، الذي يقوم على تغيير المناهج التربوية والتعليمية التي كانت سائدة في عصره، ودعوته للأخذ عن علوم الغرب بدل من الاقتصار على العلوم الدينية، وأكثر ما أردنا الإشارة إليه في هذا الجانب هو جهد الطهطاوي

في تطوير الأزهر، ومحاولة تغيير مناهجه العلمية على غرار المؤسسات العلمية الحديثة في الدول الغربية، وأخيرا تطرقنا في المبحث الخامس إلى إسهاماته في الفكر الاقتصادي، وأشرنا فيه إلى دور العمل في الإنتاج، فقد شاد الطهطاوي بأهميته في النهضة الاقتصادية، لاعتباره مصدرا للثروة ورأس المال وهذا يكون تحت إدارة الدولة التي أعطاها أهمية في النشاط الاقتصادي.

وأخيرا الخاتمة، تطرقنا فيها إلى النتائج التي استخلصناها من خلال دراستنا لهذا الموضوع وقد واجهتنا في ذلك مشاكل لاعتبار أن الموضوع لطبيعته واسع يتطلب جهدا كبيرا، ووقتا أطول، وإلماما أوسع، لكن رغم هذا حاولنا قدر الاستطاعة أن نحيط بجوانبه الأساسية، وأملنا أن نكون قد وفقنا في تقديم صورة واضحة عن المشروع النهضوي الذي دعا إليه الطهطاوي وحاول تحقيقه على أرض الواقع في سبيل نهضة الأمة العربية بصفة عامة.

الفصل الأول

إرهاصات النهضة العربية

المبحث الأول: مفهوم النهضة

المبحث الثاني: عوامل النهضة العربية

المبحث الثالث: الاتجاهات الفكرية للنهضة العربية

يعتبر مفهوم النهضة من المواضيع التي بحثها المفكرون واجتهدوا لوضع مفاهيم لها رغم الاختلاف في تحديد التاريخ الذي يمكن اعتباره بداية للعصر الحديث الذي يميزه انتشار تباشير الحداثة والتقدم فما هو مفهوم النهضة؟

المبحث الأول: مفهوم النهضة

1-التعريف اللغوي:

النهضة لغة مشتقة من فعل "نهض والذي يعني البراح عن الموضع والقيام عنه، نقول نهض ينهض نهضا نهوضا، انتهض أي قام[1]، والنهضة هي الطاقة والقوة، والنهضة بالشيء قوة على النهوض، وتعني النهضة الارتفاع بعد الانحطاط والتجدد بعد التأخر، والنشاط بعد الركود[2].

2-المفهوم الاصطلاحي

النهضة Renaissance هي انبعاث أدبي أو فني أو فكري، يحمل طابع الأصالة والتجديد[3].

والنهضة عند الأوروبيين اصطلاح يستخدم في تاريخ الفلسفة للإشارة إلى المذاهب العامة الاجتماعية والفلسفية التي ظهرت في أوروبا خلال فترة انهيار الإقطاع، وقيام المجتمع البرجوازي الأول من القرن الخامس عشر إلى التاسع عشر، وقد تميزت بإحياء الثقافة الإنسانية وإحياء التراث الفلسفي، بالإضافة إلى سلسلة من المكتشفات العلمية، وظهور مناهج البحث الرياضي والتجريبي، بالإضافة إلى تغيرات على الفكر الاجتماعي والاقتصادي[4].

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، تقديم: عبد الله العلايلي مج3، دار لسان العرب، بيروت، د ط ، د ت، ص 730

[2]- إعداد هيئة الأبحاث والترجمة: القاموس العربي الشامل، ، دار الراتب الجامعية، ط1، 1967، ص 609.

[3]- عبده الحلو: معجم المصطلحات الفلسفية فرنسي عربي، المركز التربوية للبحوث والإنماء، مكتبة لبنان، د ط ، د ت، ص 151

[4]- يودين روزنتال: الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، ، دار الطليعة، بيروت، ط7، 1997، ص552-553

أما عند العرب، فالنهضة العربية مصطلح يطلق على الفترة التي بدأت بحملة "نابليون" على مصر في أواخر القرن الثامن عشر، وما رافقها من اتصال بين الشرق والغرب، أدى إلى يقظة الأمة العربية على مستوى الثقافة والتعليم، والصحافة والأدب، كما برزت اتجاهات سياسية اجتماعية جديدة في صفوف المفكرين العرب وانتقلت النهضة من الاهتمام باللحاق بالركب الحضاري وتخطي التخلف إلى الاهتمام بالخروج عن الاستعمار البريطاني والفرنسي[1]، فقد ظهر عدد كبير من المفكرين في هذه الفترة، تناولوا مفهوم النهضة، ولكن ليس كاصطلاح، إنما كغاية يسعون إلى تحقيقها انطلاقا من الواقع المتخلف الذي يعيشونه.

فنجد "خير الدين التونسي"، يدعو بلده تونس خاصة والبلاد العربية عامة إلى ضرورة تحقيق إصلاحات تجديدية في مختلف المجالات، للخروج عن حالة التخلف، التي تعانيها بما يحقق نهضتها، ويحثها عن الاستفادة من الدول الأوروبية التي سبقتها نهضة وتقدما، حيث يقول: «إني جمعت بعض ما أستنتجه منذ سنين بأعمال الفكر والروية، مع ماشهدته أثناء أسفاري للبلدان الأوربية... وأهم تلك الفوائد عندي التي هي في هذا التأليف مناط قصدي تذكير العلماء الأعلام بما يعينهم على معرفة ما يجب اعتبارهم من حوادث الأيام، وإيقاظ الغافلين من رجال السياسة، وسائر الخواص والعوام»[2].

أما عند سلامة موسى*، فهو يعبر عن النهضة بأنها ارتقاء إلى أعلى، أو تقدم إلى الأمام، لأن التاريخ عنده يدور في حركة لولبية، فليس هناك ثبات، بل تغير من حال إلى حال ويؤكد أن تسود فكرة التطور العقلية العربية للخروج من الثبات على حالة التخلف،

---

[1]– عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط4، 1990، ص118–119

[2]– خير الدين التونسي: أقوام المسالك في معرفة أحوال الممالك، ، الدار التونسية للنشر، د ط ، د ت، ص 90.

* سلامة موسى (1887–1958): مصري، كاتب مضطرب الاتجاه والتفكير، من دعاة نظرية التطور، من أهم مؤلفاته حرية الفكر، نظرية التطور وأصل الإنسان. انظر: خير الدين الزركلي: قاموس تراجم الأعلام مج 3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص 107–108

على حد تعبيره «لو أن كتب العلم من داروين... تقرأ وتناقش لما وصلنا إلى هذه الحال الأسيفة من جمود بل تعفن الذهن»[1].

المبحث الثاني: عوامل النهضة العربية

سنتعرض في هذا العنصر إلى عوامل النهضة العربية عامة، ونتطرق بشيء من الإيجاز إلى أثرها على فكر الطهطاوي، ويكاد مفكري العرب أن يجمعوا عن العوامل الآتية:

1-الثورة الفرنسية(1879):

رغم ما قد يوجه من نقد أو أكثر إلى أحداث الثورة الفرنسية، وخاصة في مجال قتل الآلاف من أفراد البشر والقسوة البالغة التي اتسمت بها مجموعة الأعمال التي تمت على أيدي هذه الثورة، إلا أننا لا بد أن نضع في اعتبارنا أن تلك الثورة أردنا أو لم نرد قد تركت بصماتها على مسار الفكر ليس في فرنسا وحدها بل في بلدان عديدة تقع على خريطة العالم شرقاو غربا[2]، فلا نذكر الثورة الفرنسية إلا ونذكر معها مبادئ الحرية والإخاء والمساواة، لا نذكرها إلا ونضع نصب أعيننا التغيرات الثقافية والتنويرية في أرجاء العالم كله على وجه التقريب. لكننا هنا بصدد التحدث عن نتائج هذه الثورة، والتي أحدثت الكثير من التطورات والتغيرات تاركة أثرها على مسار الفكر الحديث في أغلب بلدان العالم، وبالضبط نتائجها على الفكر العربي، وكما يقول "عاطف العراقي": «ويهمنا أن نشير في مجموعة من الإشارات إلى دور الثروة الفرنسية في تنوير الفكر العربي بطريقة مباشرة وغير مباشرة، سواء في مجال الأدب أو الفكر أو غيرهما ... ونحن في عالمنا العربي قد تأثرنا بمبادئ الثورة الفرنسية"[3]. والتأثر يكون بالموافقة أو بالاختلاف، فنجد من يدعو لأفكار تمتد والثورة الفرنسية، ونجد من يناهضها ويعلن الهجوم عليها.

---

[1]- سلامة موسى: ما هي النهضة، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ط1، 1962، ص 139-141

[2]- عاطف العراقي:العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر، دار قياء للطباعة والنشر والتوزيع، د ط ، 1998، ص82

[3]- المرجع نفسه، ص 83.

لقد حدث الامتزاج بين ثقافة عربية داخلية، وثقافة أوروبية متفتحة، هكذا حدث الاتصال بين عقلية وعقلية، بين ثقافة وثقافة، ويمكننا القول بأن الحياة الفكرية المزدهرة نتاج للثورة الفرنسية وتأثرا بها، والإهتمام بالترجمة يعد خير تعبير عن ذلك، فهل يمكن أن ننكر دور هذه الثورة في تشكيل جانب أو أكثر من جوانب الشخصية الأدبية والفكرية، والفلسفيةالعربية[1].

وباعتبار الثورة هذه لم تأت من العدم، إنما مهد لها العديد من المفكرين أهمهم "روسوو منتسكيو"وهؤلاء كانوا مصدر فكر الطهطاوي، حيث كانت نقطة الاصطدام كتاب "تخليص الإبريز" والذي قدم فيه المجتمع الباريسي للمصريين، غير أن المبادئ الثلاثة الشهيرة "حرية–عدالة–إخاء" كان لها القسم الأعظم من الكتاب، فكانت أفكاره هي أفكار الثورة الكبرى للشعب الفرنسي[2].

الواقع أن أثر الثورة الفرنسية على فكرنا العربي، يعد أثرا بالغ الأهمية، أثرا إيجابيا بغير حدود، لقد عرفنا من خلال الثقافة الفرنسية أن هناك ثقافات غير ثقافات الشروط والمتون عرفنا أنه من الضروري أن ننطلق إلى ثقافات أخرى عالمية.

ويصفها "حنا الفاخوري" في كتابه الجامع" في تاريخ الأدب العربي": فكانت شرارة اليقظة التي بدأت بطيئة واتسعت شيئا فشيئا لتأخذ مداها الأرحب، وتحقق النهضة الحقيقية»[3]

2–حملة نابليون:ان ضعف الدول العربية وموقعها الاستراتيجي وغناها بالثروات ، أدى الى طمع الدول الاروبية في خيراتها وهذا ما جسدته الحملة الفرنسية على مصر الذي كان هدفها الأول استنزاف موارد الامة العربية واستغلال موقعها الهام لخدمة الدولة الفرنسية ففي

[1]– عاطف العراقي: العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر ، ص 86.

[2]– أنور عبد المالك: الفكر العربي في معركة النهضة، ترجمة بدر الدين عرودكى، ، دار الأدب، ط3 ،1981، ص 87

[3]– حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، ، دار الجيل، بيروت، ط1 ،1986، ص9.

سنة 1798 زحفت جيوش "نابليون على مصر، وفيها الأديب والشاعر، والطبيب والفيلسوف، ورجل الصناعة والفن والاختراع"[1]، وقد كان مجيء الحملة صدمة عنيفة هزت كيان مصر وأيقظتها من سباتها، وأثبتت للمصريين أن هناك أمما أكثر تقدما وأكثر عملا وإنتاجا، ونشاطا، وتفكيرا من البلاد العربية.

جاءت الحملة ومعها عدد كبير من العلماء قاموا بدراسة الآثار والعادات والتقاليد وقضيت على عدد كبير من المماليك، وساعدت على تغيير البنيان الاجتماعي، والاقتصادي للإقليم، كما أعطت نتائج سياسية هامة حين قرر المصريون أنفسهم اختيار الحاكم، كما ساعدت على دفعهم إلى العمل والانتاج[2].

وفي ظرف أعوام قلائل أجبر "نابليون" على الانسحاب، غير أنه خلف وراءه تيار من القلق والسعي وراء قوى جديدة، فهذه الحملة رغم ما تحمله من معنى استعماري، فشلت في تحقيقه إلا أنها ذات بعد حضاري فكري عميق، لما نقلته من أفكاروعلوم وفنون، وتمكنت من أن تخلق مناخا ثقافيا جديدا، كان له الأثر في ظهور النهضة العربية وفتح نفوس روادها على التيارات الغربية الحديثة[3].

والذي كان من أهمهم الشيخ "عبد الرحمان الجبرتي" مؤرخ العصر أنذاك، والذي يعرب في أكثر من موضع من تاريخه عن شديد إعجابه بما حمله الفرنسيون إلى مصر من دروب الثقافة الجديدة[4].

فمصر خاصة والعالم العربي عامة، قد وجدوا في الحملة الفرنسية أشياء جديدة غريبة عن ثقافتنا العربية الإسلامية، ومما لا ريب فيه أنه الشيء نفسه الذي وجده "الطهطاوي".

---

[1]– حنا الفاخوري: المرجع نفسه، ص 10.

[2]– جلال يحيى: العالم العربي الحديث ، دار المعارف، مصر، د ط ، 1967، ص86.

[3]– زكي مبارك:رفاعة الطهطاوي، وادريس العمراوي،نموذج للتواصل الثقافي بين مصر والمغرب،مجلة الثقافة ، ع 102، إصدار وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، ،1989، ص 69–70.

[4]– محمد عبد الله عنان: تاريخ الجامع الأزهر، ، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، د ط ، 1958، ص241

3-جهود محمد علي:

عندما جلس محمد علي على عرش مصر سنة 1805 ، واصل مسيرة الإصلاح والنهوض ، وقد أراد الاحتكاك بالغرب، فوالى البعثات إلى أوروبا، وعمل على فتح المدارس لا سيما الطبية والعسكرية منها ، وشجع حركة النقل والترجمة، والطباعة والصحافة، واتخذ اللغة العربية لغة رسمية في البلاد، فكان رجلا أساسيا وركنا رئيسيا من أركان النهضة، ويعتبر عصره عصر النهضة في مصر[1]، وقد عمل على إبعاد المماليك عن القاهرة، كما عمل على التخلص من نفوذ القيادة الشعبية التي أوصلته إلى الحكم[2]، فسعى إلى جعل مصر دولة حديثة، وقد أنشأ جيشا وبحرية حديثين، كما أقام نظاما مركزيا للإدارة والضرائب[3].

وقد استعان محمد علي عند تأسيسه المدارس الحديثة بالأجانب، فأخذ بإرسال عدد من الطلبة إلى أوروبا واستطاع بذلك أن يكون جيشا من العلماء الذين ساهموا في بناء مصر الحديثة[4]، وكانت هذه البعثات من العوامل الهامة في الانفتاح على حضارة الغرب، كما اعتمدعلى الترجمة كوسيلة من وسائل تحديث الدولة المصرية الناشئة، وأهتم بترجمة الكتب العلمية والأدبية الهامة من اللغات التركية والفرنسية والإيطالية والفارسية، ولا يخفى أن حركة الترجمة هذه، قد مكنت العرب من الاطلاع على ثقافة الغرب وعلومه، وما توصل إليه من آراء ومبادئ سياسية واقتصادية[5]، كما اهتم بالطباعة، حيث ساهمت المطابع في نشر العديد من المؤلفات والكتب العربية القديمة، وإحياء التراث العربي،

---

[1]- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 11

[2]- جلال يحي :العالم العربي الحديث، ص 91.

[3]- ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة، ترجمة كريم عزقول، ، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، د ط، 1939، ص73

[4]- عادل أبو عمشة :أثر الحضارة الغربية على جهود رفاعة الطهطاوي في اللغة والأدب، مجلة النجاح للأبحاث ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، مج2 ، ع7 ، 1993م-1414هـ، ص 53.

[5]- محمد فؤاد شكري وآخرون: بناء دولة مصر محمد علي السياسة الداخلية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1948، ص 106-107

وإيصال المؤلفات الحديثة، والكتب المترجمة إلى أيدي الناشئة والمثقفين العرب، فكان لها دور كبير، وكانت للصحافة والجمعيات والمكتبات اهتمامها الخاص إذا أشرنا إلى رفاعة باعتباره في طليعة رواد النهضة الحديثة في مصر، فإننا لا نغفل الدور الخطير الذي لعبه في حياة الصحافة المصرية[1]، وانطلقت الجمعيات العلمية والأدبية وساعدت على نشر العلوم والثقافة، من أشهرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة وإلى جانب هذا أنشئت المكتبات على نظام حديث، فبهذا حاول محمد علي" نقل الغرب إلى مصر، ليحقق مثله العليا في الإصلاح.

وقد قال الطهطاوي" يؤكد على دور "محمد علي" ويمتدح جهوده لتحقيق التمدن وبالجملة فكان المرحوم محمد علي لا تكل همته ولا تفتر عزيمته، ولا يرتاح بدنه وعقله، بل دائما مشغول بما يخص التمدن والتفكر في التجديدات وحميد المشروعات، ولا يبالي بالمصارف والتكاليف للحرص على تقديم وطنه المنيف، وإخراج الرعايا من ورطة التخشن العنيف، إذ لولاه لما وصلت مصر إلى هذه الدرجة من التقدم والرفاهية»[2]، ويعتبر الطهطاوي" ضمن هذا السياق حالة نموذجية لوضع مصر ضمن مشروع "محمد علي" التحديثي، فنشأ وتشكل في سياق هذه التجربة[3].فلا يمكن تهميش دور محمد علي في قيام نهضة مصر خاصة والعرب عامة، وتأثيره البالغ على شيخنا "الطهطاوي".

4-البعثات العلمية:

لقد أوفد "محمد علي" الكثير من البعثات إلى الأقطار الأوروبية لدراسة مختلف العلوم والفنون، حيث كانت هذه البعثات من أسباب التطلع على الحضارة الغربية، وتعتبر هذه البعثات نواة اليقظة الحديثة في مصر، والاتصال المباشر بأوروبا، وبالتالي التأثر

[1]- عمر عبد العزيز: دراسات في تاريخ الأدب الحديث والمعاصر، ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ط ، 1990، ص 202

[2]- رفاعة الطهطاوي: الأعمال الكاملة ج1 (الحضارة والتمدن والعمران) دراسة و تقديم محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، ط1، 1973، ص 441

[3]- حسن الضيقة :الطهطاوي وعقيدة التحديث، مجلة الفكر العربي، العدد 45، 1987 ص 128

بحضارتهم ومحاولة نقلها إلى المجتمع العربي و لكننا هنا سنركز على البعثة إلى باريس باعتبار أن مفكرنا "الطهطاوي" كان إماما لها، والتي كانت المكون الأكبر لفكره النهضوي، وبالتالي أثر هذه البعثة على الفكر النهضوي العربي بصفة عامة، في البداية لم يكن رفاعة طالبا من طلاب البعثة، لكنه قرر أن يدرس مع طلابها، فبدأ منذ وصوله إلى مرسيليا في دراسة اللغة الفرنسة، وأمام هذه المبادرة من رفاعة نحو التعلم، صدرت أوامر الحكومة المصرية بضمه إلى أفراد البعثة، بحيث يتخصص في الترجمة[1]، والذي يظهر من هذه الرحلة، أن "الطهطاوي" لم يخلع رداء قوميته، بل احتفظ بشخصيته، فيعترف بما للغرب من حسنات، ولكن لا يفوته أن ينتقد سيئاتهم[2]، وقد ناضل في سبيل وصل الخيوط بين وطنه وبين مراكز الحضارة الحديثة في أي مكان، فأخذ يدعو قومه إلى الانفتاح على المجتمعات المتحضرة[3]، حيث قال "فمخالطة الأغراب لا سيما إذا كانوا من أولي الألباب، تجلب للأوطان من المنافع العمومية العجب العجاب"[4]، وقد استطاع "الطهطاوي" أن يقوم بمشاهدات دقيقة للعالم الحديث والقديم معا، ويقتبس معرفة واسعة عن المؤسسات والعادات السائدة في ذلك المجتمع الأعظم، على أن إعجابه لم يكن إعجابا أعمى[5]، فرحلة باريس لا يستحيل اختزالها في المصادفة، والانبهار، والنقل، وإنما هي جزء من سياق تحديث الدولة، وهي جزء لا ينفصل عن مجمل التفاعلات الشعبية مع مجمل الأفكار حول حق التغيير[6].

وهكذا كانت رحلته إلى باريس بمثابة الشرارة الأولى لفكره النهضوي، متأثرا في ذلك بمبادئ الثورة الفرنسية، ومستفيد مما خلفته الحملة، وما نتج عن ذلك من تطورات وتغيرات بفضل محمد علي باشا آنذاك، والتي كانت العوامل الأساسية للنهضة العربية الحديثة.

---

[1]– محمد عمارة: رفاعة رافع الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، دار الشروق ،القاهرة، ط 2، 1986 م، ص 54

[2]– حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص 74

[3]– محمد عمارة: رفاعة رافع الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، ص147.

[4]– رفاة الطهطاوي: الأعمال الكاملة، ج1، ص 398

[5]– ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة، ص 93

[6]– عبد الرحمن منيف وآخرون: الحداثة النهضة التحديث ، مؤسسة عيبال للدراسة والنشر، د ط ، 1990، ص 136

المبحث الثالث: الاتجاهات الفكرية للنهضة العربية

تعتبر مشكلة تصنيف الاتجاهات الفكرية في عصر النهضة العربية من أعقد المشكلات حيث تطرح عدة اختلافات من عدة نواحي وعدم الاتفاق بين المفكرين على تحديد ما يمكن اعتباره اتجاها وما لا يستحق ذلك، وانتقاد ما يرونه الأكثر أهمية وهذه الممارسة جعلت من السهل إمكان إدراج أي مفكر في أكثر من اتجاه وفي الوقت نفسه نجد بعض المفكرين يصعب إدراجهم في أي اتجاه محدد[1] منهم على سبيل المثال شبلي شميل نجده لدى الحديث عن الاتجاه العلمي والاتجاه المادي والاتجاه العلماني والاتجاه العقلي.

ورغم كل هذا حاولت في هذا المبحث التركيز على الاتجاهات الأكثر شيوعا والأكثر تأثير على الفكر العربي هي:الاتجاه الديني، الاتجاه الليبرالي، الاتجاه العلماني.

1-الاتجاه الديني:

لقد عم الجمود الفكري والجهل بأصول الدين والعبادات والتقليد الأعمى لمجموعة من العلماء المسلمين منذ أن أغلق باب الاجتهاد في القرن الرابع للهجري ، وهذا ما أدى إلى تشوه الإسلام بالضلالات والبدع وانتشار الطرق الصوفية و ما اعتمدته من المبالغة والتطرق وما فرضته على المسلمين[2] من احتفالات وحلقات الذكر وممارسات شاذة عن جوهر العقيدة ، وهذا كله دفع عددا من المفكرين إلى إدراك الحاجة إلى الإصلاح ودفع الشبهات التي علقت بالدين الإسلامي، ويعتبر الفقيه تقي الدين أحمد بن تيمية أول من دعا إلى تحرير الدين من بدع الصوفية وهاجم دعاتها ، وانتقد جمود الأشعرية وفقهائها واستنكر زيارة القبور والاستعانة بالأنبياء والأولياء ونادى بفتح باب الاجتهاد كما أكد على صلاح

[1] – الدكتور عزت السيد أحمد: المرجع نفسه، ص 172.

[2]– على المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798–1914، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت ، د ط ، 1987، ص 37.

أولي الأمور لصلاح الأمة ، ونادى بالشورى كوسيلة من وسائل الإصلاح الاجتماعي والسياسي[1].

وقد سار تلميذه شمس الدين محمد بن قيم الجوزية على نهجه وتولى نشر أفكاره في مصر وبلاد الشام[2].

وقد كان لأفكار هذين الفقيهين الجليلين أثرها في الأجيال اللاحقة وخاصة فقهاء القرنين الثامن والتاسع عشر للميلاد ، واستمدت الحركات الإصلاحية الدينية معظم مبادئها وتعاليمها من أراء هذين الفقيهين وتعاليمهما.

وتعتبر الحركة الوهابية من أشهر الحركات والدعوات الإصلاحية السلفية ظهرت في قلب الجزيرة العربية على يد محمد بن عبد الوهاب تهدف إلى تنقية الدين الإسلامي من البدع التي دخلته ، وركزت على توحيد المسلمين لذلك عرف اتباعها بالموحدين إلا أن خصومهم أطلقوا عليهم الوهابيين ونظرا إلى أن نظام الدولة العثمانية لم يكن مقبولا لديهم وبالتعاون مع الدعاة وآل سعود جاهدوا لنشر دعوتهم[3].

فاتجهوا إلى نشر مبادئهم في البلاد المجاورة لهم باللسان والسيف، فهاجموا بعنف المزار الشيعي الكبير كربلاء في 1801م الأمر الذي أغضب الشاه الفارسي وأحرج السلطان العثماني ، وزاد في حرجه استيلاء الموحدين على الحجاز وكان من أعز ألقابه حامي حمى الحرمين الشريفين[4] ، وهذا ما أدى به إلى وضع خطة ثلاثية بين مصر والشام والعراق للقضاء على هذه الحركة وكانت أول خطة عمل مشتركة عسكرية في التاريخ الحديث، ولكن للأسف كانت موجهة ضد قوة عربية مصلحة وليس ضد الخطر الأكبر

---

[1]– على المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798–1914، ص 38.

[2]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3]– عبد العزيز نوار: النهضة العربية الحديثة ، 2002م، عين الدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، الهرم، ط1، د ت ، ص234.

[4]– المرجع نفسه، ص ن.

الأوروبي الذي كان يهدد البلاد العربية والإسلامية بأسرها[1]، وقد ظهرت حركات أخرى سارت على خطى الحركة الوهابية نذكر منها المذهب الشوكاني في اليمن، الحركة السنوسية في ليبيا، حركة المهدي في السودان ورغم الاختلاف في بعض المبادئ فيما بينها نظرا لظروف كل حركة وانتمائها، لكنها تتفق في مبادئ أساسية هي العودة بالإسلام إلى نقائه الأول واعتبار القرآن والسنة مصدري الشريعة الإسلامية وفتح باب الاجتهاد وتنقية الدين من بدع وضلالات.

2-ظهور الاتجاهات الدينية الحديثة في التجديد الإسلامي:

لقد كان للاحتلال العسكري الغربي لبعض الأقطار العربية وما رافقه من غزو ثقافي وعجز الدول الإسلامية وعلى رأسها الدولة العثمانية عن مواجهة التحدي الخارجين، والبون الشاسع بين التقدم العلمي والتفوق الاقتصادي في أوربا في مقابله ما كان عليه المسلمون من تأخر في العلوم وتخلف في الحياة الاقتصادية أثر في نفوس المتنورين من علماء المسلمين، الذين تعلموا اللغات الأوروبية وأقاموا في أوربا فترات من الزمن[2].

الأمر الذي دفع هؤلاء المصلحين إلى محاولة إيجاد السبل نحو التقرب من هذا الوافد ن والأخذ من مناهله التي شكلت تراثا إنسانيا مستحدثا دون المساس بالمقومات الجوهرية للأمة العربية الإسلامية[3].

ومن هؤلاء المصلحين جمال الدين الأفغاني الذي ترتكز عودته على:

– العودة إلى الدين النقي لأن الأصول الدينية الحقة المبرأة من محدثات البدع تنمي قوة الاتحاد وائتلاف الشمل[4].

---

[1]– عبد العزيز نوار: النهضة العربية الحديثة ، ص 235.

[2]– على المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، ص 70.

[3]– رشيد مقدم: المشروع النهضوي عند رواد الإصلاح الديني في عصر النهضة ، مجلة قضايا تاريخية ،ع 2 ، 2016 ص 215.

[4]– علي المحافظة: المرجع السابق، ص 73.

– يرى أن سبب المحنة يرجع إلى أن أولي الأمور في الأمم الإسلامية المتفرقون فيما بينهم المطيعون للمستعمر جادون في خدمته لذا يدعو إلى قيام جامعة إسلامية ، وهي عبارة عن هيكل سياسي موحد يضم جميع المسلمين لأنه كان يؤمن إيمانا راسخا أن المسلمين لن يحققوا نصرا إلا بالاتحاد والتعاون فيما بينهم[1].

كما دعا إلى تحرير الفكر الديني من قيود التقليد وفتح باب الاجتهاد والتوفيق بين العلم والإيمان، ويعتقد أنه لا خلاف بين ما جاء في القرآن والحقائق العلمية أما إذا برز خلاف ما فيقترح حل هذا الخلاف بالتأويل[2].

ولقد رفض تقليد الغرب في مختلف النواحي دون تمحيص وإمعان وحث العلماء المسلمين على الاطلاع على التيارات الحديثة وقبول ما يتفق والشريعة الإسلامية، ورفض ما يتعارض معها بالحجة والبرهان وقد الف كتابا بالفارسية هو الرد على الطبيعيين واتباع داروين ، وقد نقله تلميذه محمد عبدو إلى العربية بعنوان "الرد على الدهريين"[3] هذا الأخير الذي سار على نهج أستاذه في الإصلاح الديني فأصدر معا مجلة العروة الوثقى ، وأكد على ضرورة سد الثغرة في المجتمع الإسلامي بالاعتراف بالحاجة إلى التغيير في ظل انفتاح على الحضارة الغربية.

ورأى محمد عبدو ان الإسلام صالح تماما لتقديم الأساس الخلقي لمجتمع حديث عصري، فالإسلام يردع المؤمن عن ارتكاب ما يتعارض مع قيمه ومبادئه وهذا الردع يجعل المسلمين قادرين على التمييز بين الصالح والطالح في مختلف نواحي التغيير والابتكار[4]، مؤكدا أن الإسلام هو دين الفطرة الذي يحتل مركز الوسط بين انسجامه التام

[1]– رشيد مقدم: المشروع النهضوي عند رواد الإصلاح الديني في عصر النهضة ، ص 220.

[2]– المرجع نفسه، ص 229.

[3]– علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية في عصر النهضة، ص 75–76.

[4]– رؤوف عباس: تطور الفكر العربي الحديث، مؤسسة هنداوي ، المملكة المتحدة، دط ،2023 ص 46.

مع متطلبات العقل البشري واكتشافات العلم الحديث ،ففي الإسلام جواب على قضايا العالم الحديث ويستطيع أن يقدم للأوروبيين ما يقيهم فتن المدنية الحديثة ومفاسدها السياسية[1].

2-الاتجاه الليبرالي:

كان الاتصال بالغرب في العالم الإسلامي في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن العشرين سريع ومتواصل، ففي عام 1833بعث إبراهيم باشا رسالة إلى السلطان محمود الثاني محمود الثاني في تركيا قال فيها «إن محاولة النهضة لا تبدأ بتزويد الشعب بالملابس الضيقة والبنطلونات وكان الأولى بالباب العالي أن يهتم بتنوير الأذهان أولا»[2]. وفي عام 1860 جاءت مجموعة من الأتراك تنادي بتطوير قوانين الإمبراطورية العثمانية حتى تكون على النمط الأوروبي ، وفي مصر صعد الى الحكم إسماعيل باشا ابن إبراهيم باشا ذو الثقافة الفرنسية ، وظهر في الوطن العربي مجموعة من المفكرين ينادون بضرورة تطبيق الديمقراطية الليبرالية وهي الميزة الأساسية للنظام البرلماني الحديث[3].

وتعد الليبرالية LIBERALISME مذهب سياسي يرى أن من المستحسن أن تزداد إلى أبعد حد ممكن استقلالية السلطة التشريعية والسلطة القضائية بالنسبة إلى السلطة الإجرائية أي التنفيذية ، وان يعطى للمواطنين أكبر قدر من الضمانات في مواجهة تعسف الحكم[4].

---

[1]- رؤوف عباس: تطور الفكر العربي الحديث، ص 47.

[2]- محمد زكريا توفيق: رفاعة الطهطاوي، رائد من رواد عصر النهضة العربية والفكر الليبرالي، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=163131، 2024/04/15، على الساعة 13:00

[3]- المرجع نفسه، د ص.

[4]- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، المجلد الأول، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، ص 725.

ولقد ناقش منيف الرزاز مسألة الديمقراطية في كتابه معالم الحياة العربية الحديثة ودعا فيه إلى نظام حكم ديمقراطي حدد معناه بكونه «نظام برلماني منتخب انتخابا حرا ويدعو إلى حرية الأحزاب والفكر والتغيير»[1].

فعندما يكون نظام الحكم ديكتاتوريا يفقد المرء حريته الفكرية كما يفقد حرياته الأخرى وحقوقه الأساسية ، فينزل المواطن من منزلة المواطن الحر والمفكر المسؤول... إلى منزلة المواطن المأمور كالآلة الذي عليه أن يطبق القوانين فحسب... فيتحول من قوة فعالة مبدعة إلى قوة منفعلة مسيرة تخضع لما يكتب عليها[2].

ولقد كان الطهطاوي هو المبشر بالفكر الليبرالي في ربوع الشرق التي الفت طويلا الحكم الفردي ، وقد استطاع أن يضع كل الأسس لهذا النمط من أنماط التفكير والسلوك والممارسة بين يدي قومه،[3] رغم عدم انسجام هذا الفكر مع طابع محمد علي وميوله كحاكم فردي ، وصلته برفاعة الطهطاوي كواحد من أبرز البناة في جهاز الدولة الفكري والتعليمي فقد استطاع الطهطاوي أن يقدم خصائص هذا النظام وينشرها دون تقديم تنازلات تشوه جوهر الفكر الديمقراطي الليبرالي ، وقد استعان ببعض العبارات ليرضي بها أحيانا ميول هؤلاء الحكام[4].

وهذا يدل على دهاء الطهطاوي فنجده يجمع بين التحفظ والاحتياط وبين الموافقة والتشجيع لأنه كان يعي أن ما يخبر عنه قد يصدم حساسية قرائه الدينية، فكان يستدل دائما بالأحاديث النبوية والآيات القرآنية وحتى أقوال الفقهاء والحكماء ويربط أفكاره بما جاء في القرآن والسنة[5].

---

[1]– مفيدة محمد إبراهيم: عصر النهضة بين الحقيقة والوهم دار مجدلاوي للنشر، الأردن، د ط ، 1999 ص 403.

[2]– المرجع نفسه، ص 404.

[3]– محمد عمارة: رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث ، ص 239.

[4]– المرجع نفسه، ص 239.

[5]– عزت قرني:العدالة في فكر رفاعة الطهطاوي،المحلس الوطني للثقافة والفنون والادب، الكويت،د ط ، 1978 ص 235.

حيث يصف الفرنسيين و عقائدهم القبيحة قولهم أن عقول حكمائهم وطبائعهم أعظم من عقول الأنبياء وأزكى منها ، و يؤكد أن لهم الكثير من العقائد الشنيعة كإنكار بعض القضاء والقدر لكن العاقل من يصدق بالقضاء والقدر[1].

ونتيجة اهتمامه وتأثره بالفكر الديمقراطي حاول دراسة مكونات هذا الفكر والنظام حيث ركز على السياسة أو التدبير وأقسامها. وكذلك نظرية الفصل بين السلطات بالإضافة إلى الحرية والمساواة[2].

ويرى الدكتور لويس عوض أن الطهطاوي قد بث في مصر أقوى لغم من ألغام الديمقراطية الليبرالية ونجح في ذلك عندما قدم نظريتها في شروط قيام المجتمع المدني أو الدولة كما نسميها، وان الدول تأسست لحفظ حقوق الرعايا بالتسوية في الأحكام والحرية[3] وصيانة النفس والمال والعرض بموجب أحكام شرعية وأصول مضبوطة.

ويؤكد الطهطاوي أن نتيجة الحرية هي السعادة، فإذا كانت مبنية على قوانين حسنة عدلية كانت واسطة عظمى في راحة الأهالي وإسعادهم وكانت سببا في حبهم لأوطانهم حيث يقول «الفرنساوية مستوون في الأحكام وعلى اختلافهم في العظم والمنصب والشرف وضمنت الشريعة لكل إنسان التمتع بحريته الشخصية... ومن الأشياء التي ترتبت عن الحرية عند الفرنساوية أن كل إنسان يتبع دينه يختاره ويكون تحت حماية الدولة»[4].

وقد أكد على حقوق الفرد في حرية الرأي والتعبير وحرية اختيار الحاكم وحرية اختيار من يمثلونه في المجالس النيابية فالحرية هي التي تخلق الوطنية[5]، حيث يقول: "قد

---

[1]– رفاعة الطهطاوي: تخليص الإبريز في تلخيص باريز، تقديم الصغير بن عمار،موفم للنشر، د ط،1991، ص 145.

[2]– المصدر نفسه، ص 103.

[3]– لغواطي يامين:حاروش نور الدين، رفاعة الطهطاوي بين هويته الإسلامية وفكره الليبرالي ، المجلة الدولية للبحوث القانونية والسياسية ، حامعة الوادي، 2022 ص 310.

[4] – رفاعة الطهطاوي، المرجع السابق ، ص 04.

[5]– محمد زكريا توفيق: رفاعة الطهطاوي رائد من رواد عصر النهضة والفكر الليبرالي، د ص.

سبق لنا من القوانين السالفة في الكلام على حقوق الفرنساوية و هي "المادة الثامنة" أنه لا يمنع إنسان في فرانسا أن يظهر رأيه ويكتبه ويطبعه"[1].

ويهاجم الطهطاوي مذهب الذين يريدون أن يكون الفكر السياسي وممارسته حكرا لطبقة أو فئة معينة من الناس دون أبناء الشعب، لأنهم يعتبرون السياسة من أسرار الحكومة الملكية ويدعو إلى تعليم مبادئ السياسة لكل أبناء الشعب في دور التعليم التي نشرت في ربوع البلاد وأماكن تحفيظ القرآن وهذا ما يسمى بديمقراطية تعليم الفكر السياسي للمواطنين"[2].

ويحذرنا الطهطاوي من التقليد الأعمى وإغفالنا لقيمنا ومبادئنا وتقاليدنا الدينية المتوارثة لأن الحضارة الغربية قد تضع الجانب الأخلاقي في مرتبة أدنى من الجانب المادي، فمثلا الدستور الفرنسي ينص على مبادئ العدالة ولكن هذه المبادئ لا ترقى إلى مبادئ الأخلاق الإسلامية كالإحسان إلى الوالدين والعطف على الصغير ومساعدة الفقير واحترام الكبير"[3].

3-الاتجاه العلماني:

يختلف مفهوم العلمانية من مفكر لآخر وحتى عند العلمانيين أنفسهم، فهناك من يعرفها بأنها فصل الدين عن الدولة وهذا هو الأصل في نشأة العلمانية في المفهوم الغربي، وهناك من يعرفها بأنها فصل الدين عن السياسة "وتعرف أيضا بأنها إعلاء صوت العقل عن أي صوت حتى ولو كان صوت الدين"، وتعرف أيضا بأنها "تحرر الفرد من قيود المطلق الغيبي"، أي تبني العلم والتجربة المادية أو الواقعية[4].

---

[1]- رفاعة الطهطاوي: تخليص الإبريز في تلخيص باريز ، ص 145.

[2]- محمد عمارة: رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث ، ص 245.

[3]- محمد زكريا توفيق: رفاعة الطهطاوي رائد من رواد عصر النهضة والفكر الليبرالي، د ص.

[4]- عزت السيد أحمد: المدخل لعصر النهضة العربية، ص 226.

والعلمانية لما ظهرت في أوروبا هي ترجمة للكلمة الإنجليزية Sewlar وهي الاعتقاد بأن الدين والشؤون الكنسية لا دخل لها في شؤون الدولة وخاصة التربية العامة، فهي تقوم على مبدأ استبعاد الاعتبارات الدينية استبعادا تاما عن شؤون الدولة واعتماد القيم الفكرية الحديثة[1].

وقد كان لجهود محمد عبدو وتلاميذه التي هدفت إلى صياغة المبادئ التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي على ضوء ما يمكن اقتباسه من الأفكار الغربية التي لا تتعارض مع جوهر الإسلام ، وكان لهذه الجهود أثرها في إمكانية إقامة مجتمع قومي علماني يحتفظ فيه بالإسلام كعقيدة وراية اجتماعية دون أن يكون الدين مصدرا للتشريع والنظام السياسي[2].

لقد تفاوت الإيمان بالعلمانية وقدرتها على انتشال العالم العربي من محنته وتخلفه ، وهذا التفاوت في فهمها وتحديدها أدى إلى وجود مستويات في التعامل معها وأدى إلى اختلاف بين الدارسين والباحثين في تصنيف أعلام العلمانية في عصر النهضة العربية ، فمنهم من يتعامل مع العلمانيين بوصفهم فريق واحد ومنهم من يتحدث على علمانية داروينية وعلمانية إسلامية ومنهم من يتحدث عن علمانية اشتراكية وعلمانية ليبرالية وعلمانية إلحادية وعلمانية مؤمنة[3].

أما التصنيف الأكثر شيوعا هو الذي يميز بين العلمانية المسيحية والعلمانية المسلمة، والجدير بالملاحظة أن طرح الكتاب المسيحيين العرب للفكر العلماني يختلف عن فهم إخوانهم المسلمين لها، وقد كان لهذا الطرح أثر في النظرة السلبية الشائعة بين الناس للعلمانية باعتبارها نقيض للدين ورفضا له ومرادفا للإلحاد، وخاصة أنهم هم الذين صكوا مصطلح العلمانية بفتح العين ترجمة للكلمة الفرنسية laic والإنجليزية Sewlar بمعنى غير كنسي، فقد كانت الكنيسة تفرض سلطانها على الأفكار وتعد سدا منيعا في وجه التفكير

[1]– مفيدة محمد إبراهيم: عصر النهضة بين الوهم والحقيقة، ص 497.

[2]– رؤوف عباس: تطور الفكر العربي الحديث، ص 53.

[3]– عزت السيد أحمد: المدخل لعصر النهضة العربية، ص 234.

العلمي، ومن الطبيعي أن يعتنق المسيحيون العرب هذه الفكرة على ضوء معاناتهم من سلطة الكنيسة، فمالوا إلى القول بتناقض الدين للعلم وفصل الدين عن السياسية[1].

وقد كان الأمر مختلفا مع إخوانهم المسلمين من تلاميذ محمد عبدو، لأن الإسلام لم يعرف السلطة اللاهوتية الكنسية، فالمسلم يؤدي فروض العبادة دون الحاجة إلى رجل الدين يقيم له طقوسه ولم يكن الفقهاء الذين أثروا الشريعة الإسلامية باجتهاداتهم يلبسون مسوح رجال الدين أو يتولون مناصب دينية، فضلا عما يتضمنه القرآن من حث على أعمال الفكر والتدبر والعلم والتحديد الصريح لمسؤولية الفرد عن عمله أمام الله سبحانه وتعالى وحده[2].

كما أن الفكر المسيحي يشعر بغربته عن الأوضاع المحيطة به ولم يكن يقبل بوطن هويته الإسلام، وإيمانا منهم بوطن يكون الولاء فيه لا للدين بل للقيم الوطنية والاجتماعية والإنسانية ، وهذا ما يعلل أسبقية المفكرين المسيحيين إلى اعتناق العلمانية، ومن أشهر المفكرين المسيحيين العلمانيين نجد ناصيف اليازجي وأحمد فارس الشدياق، بطرس البستاني، شبلي شميل، جرجي زيدان[3].

ولقد بدأ ظهور العلمانية لدى المفكرين المسلمين فيما يرى المؤرخون إثر ظهور حزب تركيا الفتاة وحركته السياسية، وقد وجد العلمانيون المسلمون أنفسهم في صراع مزدوج مع استبدادية الدولة العثمانية، وصراع مع الواقع المتخلف الذي حفزهم على الإيمان المطلق بالعلم ومحاكاتهم للنموذج الغربي في الإيمان بالعلم وعده المنقذ الوحيد للإنسان[4]، ومن أبرز المفكرين العلمانيين المسلمين: قاسم أمين، صدقي الزهاوي، رقيق العظم، شكيب أرسلان، معروف الرصافي.

---

[1]- رؤوف عباس: تطور الفكر العربي الحديث، ص 53.

[2]- المرجع نفسه، ص 54.

[3]- عزت السيد أحمد: المدخل لعصر النهضة العربية، ص 237.

[4]- المرجع نفسه، ص 239.

وهناك من يؤكد أن فكرة فصل الدين عن الدولة قد دخلت إلى البلاد الإسلامية كجزء من مخطط الاستعمار لفصل الدين الإسلامي، لعله يزول من حياة المسلمين فيسهل على الغزاة استعبادهم ، ويستبدل السلطة الإسلامية بالسلطة الغربية ويتم التنكر للشريعة الإسلامية ويسود النظام الراديكالي لقيم الأنظمة الغربية وتقاليدها[1].

وقد تمادى دعاة النهضة في فصل الدين عن الدولة حتى أصبح إقرار الدستور بأن دين الدولة هو الإسلام بالنسبة لمحمود عزمي هو بند مرفوض فخرج عن الشريعة الإسلامية ، وطالب بتوحيد التشريع كما هاجم إسماعيل مظهر الدين ودعا إلى التحرر من الغيبيات وعلى رأسها الدين ، وتمادى زكي نجيب محمود ليصل إلى حد الإلحاد في كتابه "خرافة الميتافيزيقا"[2].

وهذا ما مهد لظهور الاتجاه التغريبي الذي نادى بتغريب العالم العربي كلا أو أجزاءا بإحلال منظومة التفكير والقيم الغربية محل منظومة التفكير والقيم الإسلامي، و من أشهر رواد هذا الاتجاه عميد الأدب العربي طه حسين ولطفي السيد والمفكر اللبناني شارل مارك ويوسف يزبك وغيرهم، حيث يقول طه حسين: "علينا أن نصبح أوربيين في كل شيء قابلين في ذلك الحسنات والسيئات، علينا أن نسير مسيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها[3].

[1]– مفيدة محمد إبراهيم: عصر النهضة بين الوهم والحقيقة، ص 510.

[2]– المرجع نفسه، ص 516–517.

[3]– عزت السيد أحمد: المدخل لعصر النهضة العربية، ص 264.

الفصل الثاني

ماهية النهضة عند رفاعة الطهطاوي

المبحث الأول: مفهوم النهضة عند الطهطاوي

المبحث الثاني: منطلقات الفكر النهضوي عند الطهطاوي

المبحث الثالث: شروط النهضة عند الطهطاوي

إذا كانت النهضة في مفهومها الاصطلاحي تمثل قوة مركبة تسعى الاكساب الحضارة القومية قدرتها على انتاج المعارف والمهارات في ظل تعاملها مع الحضارات الأخرى فما مفهومها عند الطهطاوي؟

المبحث الأول: مفهوم النهضة عند رفاعة الطهطاوي

عند استقراءنا لمفهوم النهضة عند الطهطاوي لا نجد مفهوما صريحا، لكن يمكن أن نستنتجه من خلال مؤلفاته، فهو يعبر بها عن حالة التطور والتمدن الذي بدأت بوادره منذ عهد" محمد علي"، حيث يقول: «فكل عاشق لجمال العمران، وناشق لشذى عبير هذا الزمن ويتهلل سرورا ويمتلئ قلبه حبورا، حيث يرى بعين المحبة أنه عاد لمصر عزها القديم وبهوها الفخيم ومجدها المؤثل، وسعدها الأول، وأنها لازالت مجدة السير على غاية السرعة لتحظى بالحظ الوافر من نمو المجادة وسمو المنعة، وتستحوذ على ضخامة الشأن وفخامة الرفعة وتصير أبهى قطر من أقطار المعمورة، وأبهى بقعة، وليس هذا التقدم العجيب والسبق في ميدانه الرحيب إلا من عهد محمد علي وورثائه من بعده»[1].

ويرى أن تأصيل وتأسيس قواعد النهضة على أساس مكين يكون عن طريق تمتع الوطن بالعلوم والمعارف، لأنه يؤدي إلى إثبات الوجود وتمكين البقاء أتم تمكين[2]، كما يؤكد أن مصر قد كانت مهد التمدن والحضارة منذ القدم، وعلى أبناء مصر الحديثة أن يثقوا بإمكانية بنائهم حضارة جديرة بأن تكون الامتداد المتطور لحضارةأسلافهم[3].

يربط الطهطاوي بين النهضة والتمدن، الذي يعرفه بقوله: «التمدن عبارة عن تحصيل ما يلزم لأهل العمران من الأدوات اللازمة لتحسين أحوالهم حسا ومعنى، وهو فوقانهم في تحسين الأخلاق والعوائد، وكمال التربية وحملهم على الميل إلى الصفات الحميدة، واستجماع الكمالات المدنية والترقي في الرفاهية ... والتمدن ضد التخشن وهو الخلو من الترفه في

[1]– رفاعة الطهطاوي: الأعمال الكاملة، ج 1، ص 245.

[2]– المصدر نفسه، ص 246.

[3]– محمد عمارة: رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، ص 209.

درجة العيش»[1]، ويرد التمدن إلى أصلين معنوي وهو ما يتصل بتهذيب الأخلاق ومادي، وهو مايتصل بتطوير المنافع العمومية[2]، كالزراعة والتجارة والصناعة ، وهما لازمين لتقدم العمران، ويختلف اهتمام الأفراد بين هذين الجانبين، فأهل الصناعة والاقتصاد يركزون على الجانب المادي على عكس أهل الفلسفة والأخلاق، يركزون على الجانب المعنوي، ويعتبرون الصناعات من الأمور الخسيسة[3]، لكن الطهطاوي يؤكد على ضرورة التكامل بينهما لتحقيق التقدم والتمدن، الذي له فوائد كثيرة، أهمها تخلص البشرية من الآلام والحروب، التي تعاني منها على الرغم ما في حديثه من مثالية على ضوء واقعنا الحاضر، إلا أنه دليل على ثقة مفكرنا الكبير في الإنسان العربي والآمال التي علقها على تقدمه[4]، فيقول: «فوائد التمدن كثيرة وعليها مدار جميع العلوم المعاشية والمعادية، لذلك قال بعضهم كلما اتسع نطاق تمدن ممالك الدنيا خفت الحروب وقلت العداوة، وتلطفت الفتوحات، ونذرت التقلبات والتغلبات، حتى تنقطع بالكلية وينمحي الاستعباد والاسترقاق بغير حق، ويزول الفقر والمسكنة»[5].

و"الطهطاوي" في صدد حديثه عن التقدم أعطى تصنيف جديد للمجتمعات البشرية متأثرا بالمذاهب التي ظهرت في القرن الثامن عشر والتاسع عشر في تصنيفها للمجتمعات وأعطى تصنيفا جديدا للبشر قائما على معيار التخلف والتقدم، رافضا في ذلك التصنيف القديمالقائم على معيار الكفر والإيمان[6]، وقسمهم إلى ثلاث مراتب:

– المرتبة الأولى مرتبة الهمل المتوحشين ومنهم بلاد السودان وهم لا يعرفون الحلال من الحرام ولا القراءة والكتابة أو الأمور المسهلة للمعاش.

---

[1]– رفاعة الطهطاوي: الأعمال الكاملة، ج2(السياسة والوطنية والتربية)دراسة وتقديم محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، د ط ، 1973، ص469.

[2]– رفاعة الطهطاوي: الأعمال الكاملة، ج1، ص 343.

[3]– رفاعة الطهطاوي: المصدر نفسه ، ص –ص 251–252

[4]– محمد عمارة: رفاعة رافع الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، ص 272.

[5]– الطهطاوي: الأعمال الكاملة، ج2، ص 470

[6]– حسن الضيقة: الطهطاوي وعقيدة التحديث، 1987، ص131

-المرتبة الثانية مرتبة البرابرة الخشنين وهم عرب البادية، لهم نوع من التجمع الإنساني، يعرفون الحلال والحرام، القراءة والكتابة، ولم تكتمل عندهم درجة الترقي في أمور المعاش والعمران، والصنائع البشرية.

- المرتبة الثالثة مرتبة أهل الأدب والظرافة والتحضر، وهم بلاد مصر والشام واليمن، والروم، والعجم، والإفرنج، والمغرب، وهؤلاء هم أرباب العمران والعلوم والصناعات[1]،أنه يوجد تفاوت بين هاته البلدان، فالبلاد الإفرنجية بلغت أقصى درجات التمدن عكس البلدان العربية، لذلك يؤكد على ضرورة الاتصال بينالحضارات لتلمس أسباب التقدم والعمران[2].

ونظرة الطهطاوي هذه ليست خاصة بمصر فقط، فهو يسوي بينها وبين البلاد الإسلامية عموما، فيتحدث عن الفتور الذي أصابها، والظروف الجديدة التي أحاطتها والتي ستدفع بها إلى تجديد حضارتها، ومواصلة السير في طريق التمدن والتقدم[3].

المبحث الثاني: منطلقات الفكر النهضوي عند رفاعة الطهطاوي

يعتبر رفاعة الطهطاوي من أهم رواد النهضة العربية لتأثره الكبير بالمفكرين العرب والغرب معا، وهذا ما جعل أفكاره النهضوية مزيجا بين ما أقره الإسلام من تعاليم ومبادئ وبين ما لمسه من تطور في حضارة الغرب بعد سفره إلى فرنسا وإعجابه بما شاهده فيها من تقدم في مختلف المجالات، وسنتطرق فيما يلي إلى أهم العناصر التي بلورت الفكر النهضوي عند الطهطاوي.

1-الحركة الوهابية:

"هي حركة إصلاحية دينية سياسية تدعو إلى العودة بالعقيدة الإسلامية إلى أصولها الصافية والتخلص من الممارسات التعبدية التي انتشرت في بلاد الإسلام، وتلح على تنقية

[1]- رفاعة رافع الطهطاوي: تخليص الإبريز في تلخيص باريز ، ص 8-9.

[2]- محمود فهمي حجازي: أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي، ص 49

[3]- محمد عمارة: رفاعة رافع الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، ص210

مفهوم التوحيد مما علق به من أنواع الشرك"[1]. فهي تعتبر من أهم الحركات الإصلاحية التي انبثق منها الوعي بالإصلاح بمحاربة الشرك بكل أنواعه وتأكيد الاستناد إلى العقائد الدينية الإسلامية الأصيلة، ظهرت خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ميلادي (النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري) في مدينة نجد، اعتمدت الإصلاح على الطريقة السلفية لداعيتها محمد بن عبد الوهاب، الذي نجح في إعلان مبادئه القائمة على التركيز على القرآن الكريم والسنة الشريفة لضبط سلوكيات المسلم عند تأديته أركان الإسلام وشريعته وواجباته وحقوقه والجهاد في سبيل الله حفاظا على سلامة العقيدة وهداية الناس إليها[2].

وحتى يعطي محمد بن عبد الوهاب دفعة قوية لدعوته وضع قدراته كداعية مع قدرات شيخ الدرعية القيادية محمد آل سعود للدفاع عن الدعوة ونشرها ، وبعد صراعات لعدة سنوات استطاع آل سعود أن يصبحوا اليد العليا رغم التحالفات للإطاحة بهذه الدعوة[3].

وجدت الدعوة الوهابية الدين الإسلامي فقد جميع معانيه الروحية السامية وصار مجرد طقوس ظاهرية تؤدى في أوقات محددة وارتبط كثيرا بالانحرافات والأباطيل والبدع ، وشاعت ظاهرة التوسل إلى الأولياء الصالحين لقضاء المصالح ودفع المضار بدل السعي والعمل، وهذا ما عكس روح الاتكال[4]، كما انتشرت الصوفية التي شجعها السلطان عبد الحميد الثاني حيث قام بجمع عدد من مشايخ العرب معظمهم من أتباع الطرق الصوفية ليتنافسوا فغرسوا فكرة أن الخليفة ظل الله في الأرض ومنفذا لأحكامه ومن واجب المسلمين طاعته[5]، وهذا ما أثر سلبا على حياة المسلمين حيث كان سببا لدفعهم إلى التخلف

[1]– رشيد مقدم:المشروع النهضوي عند رواد حركة الإصلاح الديني في عصر النهضة ، ص 212.

[2]–عبد العزيز نوار: النهضة العربية الحديثة، ص213.

[3]– المرجع نفسه، ص ن.

[4]– رشيد مقدم: المرجع السابق ، ص 212.

[5]– رشيد مقدم:المرجع السابق،ص 215.

والانحطاط ، وتشجيع عقيدة الجبر والاتكال وغرس روح التقشف وجعلهم يعزفون عن كل طموح مادي دنيوي.

وتعتبر الحركة الوهابية أول رد فعل ديني على مفاسد المجتمع العربي في العصور الحديثة، تقوم على العودة إلى الدين الإسلامي في صفائه الاول في عهد الرسول والصحابة والخلفاء الراشدين الذي كان مصدرا لعظمتهم ومبعثا لانتصاراتهم وفتوحاتهم الواسعة[1].

عرفت أفكار الحركة الوهابية انتشارا واسعا في جميع أنحاء العالم الإسلامي وتأثر بها المفكر رفاعة رافع الطهطاوي ن حيث أنه لم يتخلى عن أصالته وأكد على ضرورة الرجوع للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وأصر على العودة إلى الإسلام كما فهمه المسلمون الأوائل واتخاذه سبيلا لتجديد الحياة الروحية للمسلمين مع التفتح على المدنية الغربية ووجوب الأخذ بأسباب تقدمها فمن واجب العلماء أن يتصالحوا مع العلوم الجديدة[2]

2-تأثير الأزهر في رفاعة الطهطاوي:

يعتبر الأزهر الشريف من أكبر المراكز العلمية وأهم المساجد في مصر وأحد المعالم التاريخية لنشر تعاليم الإسلام ، واستقطب العلماء المسلمين لأنه كان المكان الأنسب لتعليم أصول الشريعة الإسلامية بالطريقة الصحيحة المعتدلة، وقد التحق به الطهطاوي حين بلغ سن السادسة عشر عام 1817، وتلقى مختلف الدروس في التفسير وأصول الفقه والحديث ويعتبر الشيخ حسن العطار من بين الأساتذة الذين تركوا فيه الاثر البليغ علميا وحياتيا.

فقد كان حسن العطار يلوم على الأزهر انغلاقه ويستغرب ابتعاده عن تعليم العلوم العصرية كالرياضيات والجغرافيا وعلم الأحياء وغيرها، لأنه اتصل بالفرنساويين لينقل عنهم العلوم والفنون المستعملة في بلادهم وأكد أن البلاد العربية لابد أن تتغير أحوالها وتتجدد بها

[1]- علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة العربية، ، ص40.

[2]- رشيد مقدم: المشروع النهضوي عند رواد الاصلاح ، ص 216.

المعارف[1]، وذلك حين قدوم الحملة الفرنسية سنة 1798م كان يتردد على دار المجمع الذي أسسه الفرنسيون حين قدومهم ، والذي كان يضم جمعا من العلماء في مختلف الاختصاصات الإنسانية ولاحظ العطار الفارق بين علوم الفرنسيين وبين علوم المصريين التي درسها ويدرسها في الأزهر[2]. ولما كان العطار ميالا بطبعه للعلوم العصرية ولا يرى الانحصار في دائرة كتب الشرع فحسب ، فأودع هذا الميل في نفس تلميذه الطهطاوي فبعثه إماما للبعثة التي أوفدها محمد علي إلى فرنسا سنة 1826م ، وأوصاه بأن يدرك أهمية هذه البعثة فيجتهد في التفكير والإسهام في نقل العلوم عن الغربيين حتى يفيد أهل وطنه منها[3]، حيث يقول رفاعة: "فلما رسم اسمي في جملة المسافرين وعزمت على التوجه، أشار علي بعض الأقارب والمحبين ولا سيما شيخنا العطار، فإنه مولع بسماع عجائب الأخبار والاطلاع على غرائب الآثار، أن أنبه على ما يقع في هذه السفرة، وعلى ما أراه وما أصادفه من الأمور الغريبة والأشياء العجيبة، وأن أقيده ليكون نافعا في كشف القناع من محيا هذه البقاع"[4].

وبعد سفره ونقله للعلوم والفنون الفرنسية فإنه تعامل معها انطلاقا من تكوينه الديني الأزهري ، حيث سادت القوالب اللغوية التقليدية في مؤلفاته فحين ينقل إلينا مصطلحات الفكر الغربي السياسي يوظف لغة السياسة الشرعية ، فهو يرادف بين الشعب والرعية وبين القانون والشريعة حيث يقول "حينما كانت رسل العمالات قائمة مقام الرعية ومتعلمة على لسانها كانت الرعية حاكمة نفسها ... وقد نظمت الشريعة لكل إنسان التمتع بحريته الشخصية"[5]. ومؤلفاته مطبوعة بمصطلحاته الفقهية مثل المباح والمحظور والكفر والإيمان

[1]– أحمد داخر ناصر، بواكير النهضة في الفكر الليبرالي العربي الطهطاوي نموذجا، مجلة الآداب، العدد 106، البصرة، ، كانون 2023، ص 166.

[2]– بيان الصفدي، رفاعة الطهطاوي، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة ، دط ، 2020، ص 14.

[3]– أحمد داخل ناصر: بواكير النهضة في الفكر الليبيرالي العربي الطهطاوي نموذجا، ص 167.

[4]– رفاعة الطهطاوي: تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 03.

[5]– المصدر نفسه، ص 114.

الهداية والظلال حيث يقول "ومثال المرتبة الأولى همل السودان الذين هم دائما كالبهائم السارحة لا يعرفون الحلال والحرام"، "وفيها جزء عظيم باق على الكفر كبلاد الصين وبعض بلاد الهند ومنها جزء سالك في إسلامه طريق الضلال".[1]

وقد طبع فكره الطابع المعياري الأخلاقي الديني، وذلك لسيطرة العقيدة الأشعرية على فكره والتي كانت سائدة في الأزهر ومصر في تلك الفترة ولحد الآن[2]، فهو حين يتحدث عن أمريكا يقول "أما أمريكة فهي بلاد كفر وذلك أنها كانت عامرة في الأصل بهمل عبدة الأصنام"[3]. وحين يتحدث عن العلم عند الفرنسيين يقول: "غير أن لهم في العلوم الحكمية حشوات ضلالية ومخالفة لسائر الكتب السماوية ... ولنقل أن كتب الفلسفة بأسرها محشوة بكثير من البدع"[4].

وينكر الطهطاوي على الفرنسيين اعتبار العقل معيار في كل شيء لأنه سيصبح وسيلة للإباحية والإلحاد والتجرد من الدين حيث يقول: "إن أكثر اهل هذه المدينة (باريس) إنما له من دين النصرانية إلا الاسم فقط حيث لا يتبع دينه ولا غيرة له عليه بل هو من الفرق المحسنة والمقبحة بالعقل أو فرقة الإباحيين الذين يقولون أن كل عمل يأذن فيه العقل صواب"[5].

وقد كان الطهطاوي يغلب الشريعة على العقل في قضية الحسن والقبيح فهو يتبنى معتقد الأشاعرة نفسه بالقول أن الحسن والقبيح شرعيان مؤكدا على أولوية النقل على العقل حيث يقول: "ليس لنا أن نعتمد على ما يحسنه العقل إلا إذا ورد الشرع بتحسينه أو تقبيحه"[6].

3-تأثره بالثورة الفرنسية 1789م:

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 23.

[2]-أحمدمحمد سالم: الخطاب الإصلاحي عند رفاعه الطهطاوي، http://www.alhiwartoday.net/node/1355 لفضيلة الشيخ خالد حسن هنداوي. بتاريخ: 2024/05/17 على الساعة: 14:00.د ص.

[3]- رفاعة الطهطاوي: تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 23.

[4]- المصدر نفسه، ص 234.

[5]- المصدر نفسه، ص 27.

[6]- أحمد محمد سالم: المرجع السابق ،دص.

لقد اعتبر الطهطاوي أن التقدم الغربي هو نتيجة مسارات الثورة الفكرية التي عرفتها أوروبا منذ عصر النهضة ووصولا إلى عصر الثورة الفرنسية سنة 1789م ، والذي كان لفلاسفة التنوير دورا حاسما في تشكيل وعي جديد في أوروبا، واستخلص أن الأسس التي قامت عليها الحضارة الغربية تتمثل في مبدأين أولهما العدل وثانيهما الحرية، وأقر بأن المجتمعات العربية تفتقدهما وأنهما ضرورة تاريخية قصوى[1].

وقد روج لأفكار الثورة الفرنسية والتي عدلها دستور 1818 وأكدتها ثورة 1830 في فرنسا، هذه الأخيرة التي عاصر أحداثها ورآها رأي العين حيث يقول واصفا اطرافها: "فعلم من هذا أن بعض الفرنساوية يريد المملكة المطلقة وبعضهم يريد المملكة المقيدة بالعمل بما في القوانين وبعضهم يريد الجمهورية"[2].

وأن هذه الثورة او الفتنة على حد تعبيره كانت لها سوابق وجذور حيث يقول: "قد سبق للفرنساوية أنهم قاموا سنة 1790 وحكموا على ملكهم وزوجته بالقتل ثم صنعوا جمهورية .... ولا زالت الفتنة باقية الأثر إلى سنة 1830، فكان أول من تسلطن منهم لويز الثامن عشر، ولأجل ترغيب الناس في حكمه وتمكين ملكه وضع قانونا بينه وبين الفرنساوية بمشورتهم ورضاهم وألزم نفسه أن يتبعه ولا يخرج عنه وهو الشرطة"[3].

وأكد أن هذه الثورة تقوم على مبدأ المساواة وإشراك الرعية في الحكم والسلطة دائما للقانون أي الشرطة على حد تعبيره، حيث يقول: "ومن ذلك يتضح لك أن ملك فرنسا ليس مطلق التصرف، وأن السياسة الفرنساوية هي قانون مقيد، بحيث أن الحاكم هو الملك بشرط أن يعمل بما هو مذكور في القوانين"[4].

---

[1]– زهير الذوادي: نهج رفاعة الطهطاوي: المشروع الحضاري المناقض للاستبداد، مجلة الموروث، العدد 04، 2014، ص159–160.

[2]– رفاعة الطهطاوي: تخليص الإبرير في تلخيص باريز، ص 304.

[3]– المصدر نفسه، ص 304.

[4]– المصدر نفسه، ص 128.

وقد حاول نقل فكرة الانتخاب إلى المجتمع العربي الذي يعتبر من الدعائم التي أرستها الثورة الفرنسية في المجتمع الفرنسي، بعدما كان النظام السائد هو النظام الملكي واتباعه أكثرهم من القساوس وأكثر الحريين من الفلاسفة والعلماء والحكماء وأغلب الرعية، حيث يقول: "فمنهم الملكية يجلسون في الجهة اليمنى والحريون في الجهة اليسرى والتابعون لآراء الوزراء في الجهة الوسطى، وكل منهم يقول رأيه من غير معارض لأن العبرة بكثرة الأصوات"[1].

تكلم الطهطاوي عن حب الوطن والتعلق به ، وتأثر بفكرة الحرية والمساواة في مجتمع الثورة الفرنسية ولنشر هذان الشعاران قام بترجمة الدستور الفرنسي في كتابه تخليص الإبرير في تلخيص باريز ليطلع عليه القارئ العربي ويكشف ما فيه من دعوة للحرية والمساواة والخضوع للقانون، وأكد أن غالب ما فيه ليس في كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله الكريم، ولكنه يقوم على العدل والإنصاف اللذان يمثلان أسباب تعمير الممالك وراحة العباد وقد انقاد الحكام والرعايا لذلك فعمرت بلادهم وكثرت معارفهم وتراكم غناهم وارتاحت قلوبهم ، فلا تسمع فيهم من يشكو ظلما أبدا فالعدل أساس العمران"[2].

وقد أشار الطهطاوي إلى التعديلات التي لحقت بالدستور جراء ثورة 1830 وكان من بينها إلغاء النص على ديانة الدولة وتأكيد حرية الأديان وتم حذف العبارات التي توحي بأفضلية الملكن وتم نسب الملك للشعب لا للأرض فلم يعد ممكنا إطلاق لقب ملك فرنسا وإنما ملك الفرنسيين ومعناها هم من يملكوه ولهم الحق في عزله[3].

وبعمله هذا أراد الطهطاوي أن يترك أثر عند القارئ العربي الذي لم يكن يطرأ على خياله المشاركة في إدارة شؤون بلاده لأنها كانت أرض السلطان أو التطلع إلى وظيفة من

---

[1]– رفاعة الطهطاوي: تخليص الإبرير في تلخيص باريز، ص 321.

[2]– المصدر نفسه، ص 128.

[3]– علي عبد الحفيظ مرسي: التحول الحضاري في فكر الشيخ رفاعة الطهطاوي، جامعة أسيوط، ، ص19.

وظائفها العليا فهي مقصورة على الأتراك[1]، مؤكدا على ضرورة تشكيل رأي عام لدى عموم الناس قادر على توجيه لوم عمومي للسلطة لأن الرأي العام الشعبي قادر على جعل الملوك يتجهون نحو العدل فالملوك يستحون من اللوم العمومي[2].

المبحث الثالث: شروط النهضة عند رفاعة الطهطاوي

قبل أن نستعرض شروط النهضة عند الطهطاوي، لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نشير ولو بإيجاز إلى الاتجاهات الفكرية التي سادت بيئته، وذلك لتحديد شروط النهضة عنده، وهي:

الأول: اتجاه يعبر عن روح المحافظة والتقليد، يقوم على جمع التراث دون تقديم رؤيةجديدة، ولا تفسير مبتكرللتراث الاسلامي.

الثاني: اتجاه يدعونا إلى التفتح عن حضارة الغرب، والوقوف على ثقافته دون العودة إلىالتراثالاسلامي.

الثالث: يدعونا إلى التوسط أو التوفيق بين حضارة الغرب والتراث، أي بين الأصالة والمعاصرة والتي تعني على وجه الخصوص الثقافة الأوروبية، ومن هؤلاء رفاعة الطهطاوي[3]، الذي يعتبر من الأوائل الذين وضعوا المعالم الأولى لمركب ثقافي جديد، يجمعبين الحداثة والتراث، حتى يمكن القول أنه الرائد الأول في الفكر العربي الحديث[4]، ويعبر عن اتجاهه بقوله: «فلهذا بذلت المجهود لبيان الغرض المقصود بتصنيف نخبة جليلة اقتطفتها من ثمار الكتب العربية اليانعة، واجتنيتها من مؤلفات الفرانساوية النافعة ... فقد أودعتها ما يكونلأهل الوطن ذخرا ويعقبه النجاح ودنيا أخرى"[5]، وبناء على هذا يمكن أن نحدد شروط النهضةعنده بمايلي:

---

[1]– عزت قرني: العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة ، ص 36.

[2]– زهير الذوادي: نهج رفاعة الطهطاوي المشاروع الحضاري المناقض للاستبداد، ص 192.

[3]– عاطف العراقي: العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر، ص 84–85.

[4]– طاهر لبيب: هل الديقراطية مطلب اجتماعي؟ ، مركز دراسات الوحدة العربية، ، بيروت، ط1 ،1992، ص 157

[5]– رفاعة الطهطاوي، الأعمال الكاملة، ج 1، ص 297.

1-الأخذ عن الحضارة الغربية:

تعتبر الحضارة الغربية منطلقا أساسيا للطهطاوي في دعوته النهضوية، كما يقول الدكتور إسماعيل زروخي في مجلة "سيرتا": «فإننا نجد على سبيل المثال، كل من الطهطاوي وخير الدين التونسي قد انطلقا في فكرهما من الآخر، و أبلغ مثال تجلت في فلسفتهما أفكار "مونتيسكيو" وفلاسفة التنوير ... وبالتالي فإنهما لم ينطلقا من واقعهما، بقدر ما كان الأخر هو محور التفكير"[1]، حيث استطاع الاطلاع على جوهر الحضارة الغربية، أي استطاع النفاذ إلى صدر الأخر الذي تمثله هذه الحضارة[2]، التي تمثل ضرورة الحياة والتجدد والبعث بالنسبة للشرق كله، وقد واجهه في ذلك مشكل عويص وهو نظرة الشعب العربي لهذه الحضارة على أنها مجرد دول مستغلة سلبتهم حريتهم، فكان عليه أن يخفي هذا الوجه الذميم ويريهم الوجهالجميل لها، ومبدؤه في ذلك الحق أحق أن يتبع[3]، وتتجلى دعوته هذه في ثلاث نقاط هي:

- **كتابه تخليص الإبريز**: الذي ضمنه وصف لرحلته إلى باريس، تجسيد لنصيحة أستاذه "حسن العطار"[*]، الذي حثه على تدوين كل ما يقع عليه بصره ويصادفه، لينفع به وطنه، ويعتبر كتابه هذا أول كتاب في الإصلاح في الوطن العربي، لأنه يرسم سلفا الأفكار الأساسية للنهضة[4]، لأنه ضمنه وصف للحياة الفرنسية في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والعلمية، حيث يقول «وليست هذه الرحلة مقتصرة على ذكر السفر ووقائعه فقط

---

[1]- إسماعيل زروخي، الدولة الوطنية وأصالتها عند الأمير عبد القادر، مجلة سيرتا، العدد12، منشورات جامعة قسنطينة ، 1999م، ص 138

[2]- سعيد إسماعيل علي: مفكرون من أعلام التربية ، مجلة التربية، مج 1 ، مطبوعات اليونسكو، ،ص 213-214

[3]- غالي شكري، النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1 ،1978، ص 158.

[*]- حسن العطار (1766-1834): مصلح مصري شيخ في الأزهر، من تلاميذته رفاعة الطهطاوي، ألف في الأصول والنحو، والبيان والمنطق، وله رسائل في الطب والتشريع والفلك والرياضة. أنظر: عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج2، ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1990، ص 337.

[4]- أنور عبد المالك: النهضة مصر، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط ، 1983، ص 15.

بل هي مشتملة أيضا على ثمرته وغرضه ، وفيها ايجاز العلوم والصنائع المطلوبة، والتكلم عليها على طريقة تدوين الافرنج لها واعتقادهم فيها وتأسيسهم لها ....وقد سميت هذه الرحلة تخليص الابريز في تلخيص باريزاو الديوان النفيس ، بايوان باريس»[1]، رغم ما عرض فيه من أمور سطحية ، كطريقة الأكل عند الفرنسيين، و شوارعهم و عاداتهم، غير أنها تكشف على أوضاع دقيقة، فالمجتمع الفرنسي عنده يكشف عن نقائص المجتمع المصري وعيوبه[2]، فتخليص الإبريز إذن هو دعوة للارتقاء أكثر منه وصف رحلة، ومنهاج للنهوض أكثر منه تعريف بأمة، كما أنه ثمرة لالتقاء الشرق والغرب علىوفاق[3].

- **تركيزه على أهمية الترجمة:** فهو يعتبرها النواة الأولى لبناء نهضة حقيقية، وعمل على نقل أمهات الكتب الأدبية والفنية والعلمية، ولم يقتصر عمله على ترجمة الكتب المدرسية بل تعداه إلى ما هوته نفسه في التاريخ والجغرافيا وغيرها، حيث يقول: «قرأت كتاب في علم المنطق الفرنساوي، مع مسيو شواليه"، ومسيو "المونري" وعدة مواضيع من كتاب "البروتريال"، ومن جملتها المقولات وكتاب آخر في المعادن وترجمتها، وديوان "راسين" وديوان "روسو"... وقرأت في الحقوق الطبيعية مع معلمها كتاب "برلماكي" وترجمته... وقرأت مع مسيو "شواليه" جزأين من كتاب يسمى روح الشرائع، مؤلفه" شهير" بين الفرنساوية يقال له مونتسكيو»[4]، وذلك لفتح المجال أمام القارئ العربي للإطلاع على جوهر الحضارة الغربية التي كانت بالنسبة إليه المثل الأعلى الذي يحتذى به، ولتدعيم عمله في الترجمة، قام بإنشاء مدرسة تعلم فيها الألسن الشرقية والغربية، ليقوم خريجوها بمساعدته في عملية النقل[5].

---

[1]– رفاعة الطهطاوي: تخليص الإبريز في تلخيص باريس، ص4

[2]– محمد أركون: الفكر العربي، ترجمة عادل العواء ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2 ، 1982، ص 195

[3]– حسين فوزي النجار، رفاعة الطهطاوي، رائد فكر وإمام نهضة سلسلة أعلام العرب، ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، د ط ، د ت، ص 98-99

[4]– رفاعة الطهطاوى: تخليص الإبريز في تلخيص باريس، ص 77

[5]– جمال الدين الشبال: تاريخ الترجمة، والحركة الثقافية في مصر ، دار الفكر العربي، مصر، ، د ط ،1951، ص138

- **عمله في التأليف:** فمن يقرأ مؤلفات الطهطاوي يجده قد استوعب أكثر الحضارات خصوبة، وهي الحضارة الفرنسية، فقد لبت مؤلفاته حاجة المثقف العربي في مختلف المجالات فمثلا عندما نطالع كتابه "مناهج الألباب نجد فيه فكرا وثقافة، لمفكر الاقتصاد والاجتماع والسياسة، وفكرا للفلاح في الزراعة، وثقافة للطبيب والمهندس المعماري، وزادا للبسطاء والمتفلسفين، والحاكمين، لأنه بحق كان محترفا لصناعة التمدن والحضارة بمعناها الشامل[1].

إن هذا التأثر بالحضارة الغربية نجده كذلك عند خير الدين التونسي" الذي سار على درب "الطهطاوي" في المطالبة بتحقيق إصلاحات تجديدية عن طريق الاستفادة من الدول الأوروبية الذي أعجب بالتقدم الذي تشهده، مقارنة مع مظاهر التخلف التي كانت تعيشها تونس[2].

2-العودة إلى التراث الإسلامي العربي:

إن الدعوة التي تبناها "الطهطاوي" في بعث كبرياء الإنسان العربي المسلم عن طريق الانفتاح الأوروبي التي يعبر عنها محمد عمارة ، بأنه أنجز على درب التمدن أعظم الإنجازات وذلك دون أن يفقد خصائصه العربية الإسلامية، لأنه أعطى لمسألة التقدم، معنى اقتصادي اجتماعي سياسي، لا تكنولوجي، أي أنه ركز على روح الحضارة لا على جسدها، ومن ثمة أبعد استهلاكها من وجهها المادي فقط، إنما بنى جهده على تمثل هذه الحضارة والمشاركة في إنتاجها بالاستفادة من وجهها الفكري[3]، ويواصل قائلا في هذا المعنى : «إنني أحسست وأنا أقرأ أراء الطهطاوي... أنني أمام نموذج من المثقفين النادرين الذين تمثلوا أكثر حضارات عصره تقدما وعصرية، ثم طوعوها لواقعهم البسيط الساذج الذي ظلوا مرتبطين به كل الارتباط، ومن ثمة فإنهم امتازوا بعبقرية تتمثل في الربط الخلاق بين

[1]- محمد عمارة: رفاعة رافع الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، ص 105.

[2]- طاهر لبيب: هل الديمقراطية مطلب اجتماعي، ص162

[3]- غالي شكري: النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث، ص158.

"النظرية" و"الواقع"، ولم تبتعد بهم "الثقافة" عن واقعهم المتخلف الذي نشأوا فيه»[1]، فالتغيير الذي أحدثه الطهطاوي لم يكن تغيير في حياته، إذ ظل مصريا مسلما محافظا على شخصيته[2]، ودليل ذلك أنه في ترجمته كان يحذف النصوص التي تمس الشريعة أو عديمة الفائدة، مؤكدا أن ما أورده من حقائق علمية لا تضر بصحتها، وحث علماء الشريعة على تقبل هذه الحقائق وعدم اعتبارها بدعة[3]، حيث يقول: "ومدار سلوك جادة الرشاد والإصابة ومنوط هذه العصابة التي ينبغي أن تضيف إلى ما يجب عليها من نشر السنة ورفع أعلام الشريعة المنيفة معرفة سائر المعارف البشرية المدنية التي لها دخل في تقدم الوطنية»[4].

ويتجلى موقفه هذا الداعي إلى التمسك بالتراث الإسلامي في عدة نقاط نوجزها فيمايلي:

– إقراره بمحدودية العقل أمام الأمور الدينية الشرعية، فهو يقول بإعماله، لكن في حديثه عن أمور التمدن والحضارة وشؤون الدنيا بوجه خاص، لكن عندما يقترب من ميدان الفكر الديني فإنه يتجلى مسلما سنيا أو أشعريا محافظا، فهو لا يتنكر للعقل جملة واحدة، لكنه ينتصر له في ميدان العلوم العلمية والإنسانية، ويتحفظ على قدراته عندما يكون الحديث متعلقا بالعلوم الإلهية والقضايا الدينية[5]، حيث يقول معبرا عن إعجابه بالدستور الفرنسي: «إن غالب ما فيهليس في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله لتعرف كيف حكمت عقولهم بأن العدلوالإنصاف من أسباب تعمير الممالك»[6].

– حديثه عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وعن معاملاته وسيرته، فهذا الجهد الهادف نجده في كتابه الأخير نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، وهو لا يؤرخ سيرة الرسول

---

[1]– رفاعة الطهطاوي: مقدمة الأعمال الكاملة، ج 1، ص 69

[2]– سعيد إسماعيل: علي مفكرون من أعلام التربية، ص214

[3]– عادل أبو عمشي: أثر الحضارة الغربية على جهود الطهطاوي في اللغة والأدب، ص 60.

[4]– رفاعة الطهطاوي: الأعمال الكاملة، ج1، ص 533

[5]– المصدر نفسه، ص 117.

[6]– رفاعة الطهطاوي: تخليص الإبريز في تلخيص باريس، ص 128

لمجرد التعبد ولا يتحدث على البناء السياسي والاقتصادي والقضائي للدولة الإسلامية بهدف البحث التاريخي المجرد ، إنما كتب هذا كله ليتعلم منه الذين يبنون الدولة العصرية في زمنه، ويحذوا حذو الرسول صلى الله عليه وسلم وينظروا إلى أعماله بقدسية، ويحسنوا إليه الأداء[1]، فنجد "الطهطاوي" قد تكلم عن الوزارة والحجابة تكلم على الجيش والديوان والقضاء والشهود وعن المواريث والشرطة، وكل ما يتصل بالحرب، كما تحدث عن النواحي الاجتماعية كالطب والرقية والصناعات التي كانت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم[2]، حيث يقول في هذا: «من أمعن النظر في كتب الفقه الإسلامية، ظهر له أنها لا تخلو من تنظيم الوسائل النافعة من المنافع العمومية، حيث بوبوا للمعاملات الشرعية أبوابا مستوعبة للأحكام التجارية، كالشركة، والمضاربة، والقرض والمخابرة... ولا شك أن قوانين المعاملات الأوروبية قد استنبطت منها كالسفتجةالتي عليها مبنى معاملات أوربا[3]".

– العمل على المقارنة بين الأفكار الغربية ومبادئ ديننا الحنيف، فيما إذا كانت تناقضه أو تتماشى معه، فنجد نظرته العامة إلى الدولة رغم أنها تنبع من ثقافته السياسية الأوروبية، إلا أنه امتحنها في أصول الحكم الإسلامية، فقد كان ينظر إليها نظرة المثقف المسلم، فهي لا تناقضه بل تحقق المثل العليا التي نادى بها الإسلام، وهي العدالة الاجتماعية[4].

هذا ما فعله "محمدعبده"* الذي يرسم خطة لإصلاح القضاء والتعليم، والمؤسسات السياسية، بتكييف المفاهيم الإسلامية مع مفاهيم حديثة، مثل المجلس النيابي، الرأي العام المنفعة فصل السلطات[5]. عى غرار الطهطاوي فقد انتهى إلى صيغة ثنائية، كما ندعوه في وقتنا الحاضر بالتوفيقية، وهي الصيغة التي تجمع في مركب واحد بين الحضارة الغربية

---

[1]– رفاعة الطهطاوي: المصدر السابق، ص 74–75.

[2]– جمال الدين الشيال: التاريخ والمؤرخون في مصر، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، د ط ، د ت، ص 283.

[3]– جمال الدين الشيال: المرجع نفسه، ص 369.

[4]– محمود فهمي حجازي: أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي، ص 41.

*– محمد عبده: (1849–1909)، من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، له تفسير القرآن الكريم، رسالة التوليد، الإسلام والنصرانية، مع العلم المدانية، خير الدين الزركلي: قاموس تراجم الأعلام، مج 6، ص 252

[5]– محمد أركون:الفكر العربي، ص151.

والإسلام الصحيح، فهو لم يشعر مطلقا بالتناقض أو التعارض بينهما بل راح يشير مرارا إلى أن ازدهار الحضارة الإسلامية في العصر الذهبي، كان ازدهارا علميا متفتحا على الحضارات الأخرى[1]، كما أنه ظل يشير دائما إلى أن نهضة الغرب قد قامت من إحدى الزوايا على تمثل واستيعاب التراث العربي الإسلامي، عندما كانت الأمة الإسلامية تعيش أوج ازدهارها وتطورها، وبالتالي فإنه من واجبنا الآن أن نتتلمذ عليهم، كما تتلمذوا على أسلافنا[2].

إن سيادة الروح الدينية على فكر الطهطاوي، ورغبته في نقل الأفكار الحديثة إلى وطنه عمد إلى التقريب بين الوافد والموروث، والتقليدي والحديث، وقد إعتمد في ذلك على منهجية القياس والمماثلة ، موظَّف في ذلك أدوات لها أصول تراثية مثل الدعوة إلى الاجتهاد، مؤكدا أن باب الاجتهاد مفتوح، و يجب على الفقيه أن يقدم اجتهادات تتوافق مع روح العصر، مؤلفا في ذلك كتاب " القول السديد في الاجتهاد والتقليد" واستند أيضا إلى آلية التأويل[3]. وهو في ذلك يشبه علم أصول الفقه بطريقة استنباط الأحكام في الغرب فيقول: " ...جميع الاستنباطات العقلية التي وصلت عقول أهالي الأمم المتمدنة إليها، وجعلوها أساساً لوضع قوانين تمدنهم وأحكامهم قلّ أن تخرج عن تلك الأصول التي بنيت عليها الفروع الفقهية التي عليها مدار المعاملات، فما يسمى عندنا بعلم الأصول يسمى ما يشبه عندهم بالحقوق الطبيعية، وهى عبارة عن قواعد عقلية تحسيناً وتقبيحاً يؤسسون عليها أحكامهم المدنية، وما أسميه بالفروع الفقهية يسمى عندهم بالحقوق المدنية. "4.

---

[1]– غالي شكري: النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث، ص 158–159

[2]– محمد عمارة: العرب والتحدي، ، دار الشروق، القاهرة، ط1 ، 1414هـ / 1991م، ص 203

[3]– أحمد محمد سالم: الخطاب الإصلاحي عند رفاعه الطهطاوي ، دص.

[4]– المرجع نفسه، دص.

الفصل الثالث

دور رفاعة الطهطاوي في تجسيد معالم النهضة العربية

المبحث الأول: إسهاماته في الفكر السياسي

المبحث الثاني: إسهاماته في الفكر الاجتماعي

المبحث الثالث: إسهاماته في الفكر التربوي

المبحث الرابع: إسهاماته في الفكر العلمي

المبحث الخامس: إسهاماته في الفكر الاقتصادي

الجدير بالذكر أن الطهطاوي تعرض لصدمة حضارية ،خلال بعثته التي استمرت حتى عام 1831 رغم ذلك أظهر قناعاته بقيمه ومبادئه حيث اتبع منهجا دقيقا للحفاظ على العقيدة وإدخال التنوير والحداثة في بناء الدولة الحديثة فمادور الطهطاوي واسهاماته التي قدمها لوضع الاسس الحديثة لبناء الدولة في مختلف النواحي ؟

المبحث الأول: إسهاماته في الفكر السياسي

لقد أولى الطهطاوي هذا الجانب اهتماما خاصا مؤكدا على أهميته في بناء الدولة وتحقيق نهضتها وتقدمها، وقد اطلع على نظريات المفكرين الغربيين، وبين الأنظمة السياسية التي كانت سائدة في الأقطار الغربية التي تستند إلى العقل بعكس الأنظمة العربية التي تقوم علىأساس الشرع، مبينا أن الاختلاف بينهما يتعلق بالتفاصيل أكثر ما يتعلق بالمبادئ والأسس فالأخذ بها لا يتعارض ومبادئ الحكم الإسلامي[1]، ويعتبر أول كتاب ظهر في مصر في الفكر السياسي والاقتصادي، كتاب مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية"، ويرى بعض المفكرين أنه في أساسه محاولة مصرية لبناء المجتمع المصري على أسس ديمقراطية بورجوازية التي كان رفاعة يؤمن بها[2]، ولتدعيم عمله، قام بترجمة الدستور الفرنسي وتقديمه للقارئ العربي، ليطلع على مضمون السياسة الفرنسية، ويدرك الفرق بينها وبين سياسة وطنه[3]، لكن الطهطاوي" من خلال محاولته لإدخال المعاني الفرنسية، أراد أن يكشف عن المضامين لكلا النظامين الأوروبي والإسلامي، مبينا أن الاختلاف بينهما ظاهري فقط[4].

وانطلاقا من هذا قدم العديد من الأفكار السياسية مبينا دورها في نهضة الدولة، والتي سنقتصر على أهمها:

---

[1]– طاهر لبيب: هل الديمقراطية مطلب اجتماعي، ص259

[2]– عمر عبد العزيز: دراسات في تاريخ الأدب الحديث والمعاصر،ص 284.

[3]– سعيد إسماعيل: على مفكرون من أعلام التربية مجلة التربية، ص 215.

[4]– إسماعيل زروخي: الدولة في الفكر النهضوي العربي خلال ق 19،ج2، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في الفلسفة، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1996، ص516

1-إعطاء مفهوم جديد للوطن:

كان الطهطاوي" من أوائل المفكرين في العصر الحديث الذين حاولوا إعطاء معاني جديدة للوطن، تركز على الموقع الجغرافي، عكس ما كانت تعنيه في السابق[1]، حيث يقول في تعريف الوطن: «الوطن هو عش الإنسان الذي فيه درج ومنه خرج، وفيه مجمع أسرته، ومقطع سرته، وهو البلد الذي فيه نشأته وتربته وغذاؤه وهواؤه»[2]، ويبين أن الوطن بهذا المعنى يلعب دورا في تقدم الأمة، وذلك عن طريق غريزة طبيعية في الإنسان، هي حب الوطن، والوفاء له، التي تدفع بنا إلى العمل والتعمير وتحقيق التمدن[3]، حيث يقول: «وإرادة التمدن للوطن تنشأ إلا عن حبه من أهل الفطن، كما رغب فيه الشارع»، ونجده يستدل بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة فيقول: «ففي الحديث " حب الوطن من الإيمان"، وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عمر الله البلاد بحب الأوطان، وقال علي كرم الله وجهه لسعادة المرء أن يكون رزقه في بلده»[4]، وغيرها من الشواهد التي استدل بها لتوضيح أهمية حب الوطن في بنائه ونهضته، كما يربط بين تطوره وتمتع مواطنيه بالحرية التي هي في نظره عماد السياسة الحديثة وركز على أهمية المواطن ودوره في بناء وطنه، من خلال القيام بواجباته حيث يقول: «فالوطني المخلص في حب وطنه يفدي وطنه بجميع منافع نفسه، ويخدمه ببذل جميع ما يملك ويفديه بروحه، ويدفع عنه كل من تعرض له بضرر، كما يدفع الوالد عن ولده الضرر، فينبغي أن تكون نية أبناء الوطن دائما متوجهة في حق وطنه إلى الفضيلة والشرف...»[5].

---

[1]-إسماعيل: زروخي: مفهوم الوطن في الفكر العربي الحديث، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 9، جامعة قسنطينة، 1998، ص 98

[2]- رفاعة الطهطاوي: الأعمال الكاملة، ج 2، ص 429.

[3]- جمال الدين الشيال: رفاعة الطهطاوي، ص 57.

[4]- المصدر السابق ، ص 251.

[5]- المصدر السابق ، ص 434.

في هذه الأفكار تبدو تأثيرات مونتسكيو واضحة، بشأن ما يتعلق بحب الوطن، فهو عندهذا الأخير يلعب دور حاسما في الجمهورية، حيث يمثل الفضيلة السياسية في بنائه[1].

ونجد الفكرة نفسها عند ابن خلدون، حيث بين ألبرت "حوراني" أن غريزة حب الوطن ودورها في بنائه عند الطهطاوي" تتفق مع مفهوم العصبية في عقيدة" ابن خلدون"[2]، للتأكيد على هذه الحقيقة نشير إلى دور "الطهطاوي" في فن الأناشيد الوطنية لتقوية هذه الغريزة، وذلك من أجل بث الحماس في المواطنين للعمل والتعمير، حيث يعتبر الرائد الأول لهذا الفن في الوطن العربي[3].

2-اقتراح نظرية سياسية جديدة للدولة باعتبارها غاية أساسية له:

يعطي الطهطاوي دورا كبيرا للنظرية السياسية في بناء الدولة الحديثة، وذلك لدورها في تنظيم شؤونها وإدارتها إدارة حسنة، حيث يقول « وهل علامات التمدن ودلائل العظم إلا ثلاثة أشياء وهي حسن الإدارة الملكية والسياسة العسكرية ومعرفة الألوهية»[4].

وقد عرف الطهطاوي السياسة باصطلاحها الأوروبي " البوليتيقا" التي تتناول كل ما يتعلق بالدولة وأحكامها وعلائقها وروابطها[5]، وينصح بتعليم الأمور السياسية التي تحقق غاية التقدم والاستقرار، وليست القائمة على الحيلة والخداع والتدبير والتآمر مما لا يليق بمستوى المملكة، فيقول: «فأدب الشريعة ما أدى الغرض، وأدب السياسة ما عمر الأرض وكلاهمايرجع إلى العدل الذي به سلامة السلطان وعمارة البلدان»[6]، والسياسة بهذا المعنى يجب تعليمها لكل الأفراد دون تمييز، وهو يدعو أن يكون في كل منطقة معلم يقرأ للصبيان بعد تمام تعليمهم القرآن واللغة العربية مبادئ الأمور السياسية والإدارية، ويوقفهم على

---

[1]- إسماعيل زروخي: الدولة في الفكر النهضوي العربي، ج1، ص 298.

[2]- ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة، ص 103.

[3]- عبد المنعم شميس: عظماء من مصر، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، القاهرة، د ط ،د ت، ص 53.

[4]- رفاعة الطهطاوي: الأعمال الكاملة، ج1، ص234.

[5]- المصدر نفسه، ص 517.

[6]- المصدر نفسه، ص 250.

نتائجها المتمثلة في فهم أسرار المنافع العمومية[1]، وتعتبر الدولة أهم مفهوم ركز عليه في هذه النظرية، فما هي نظرة الطهطاوي إليها؟

2-الدولة*: إن الطهطاوي من أوائل المفكرين الذين أكدوا على وجود ارتباط بين قوةالحضارة والتمدن، والبنية السياسية التي تقوم عليها أي دولة، ويرى أن أهم وظيفة لهذه الأخيرة هي تحقيق المدنية الحضارية، وذلك لتحقيق رفاهيتها وازدهارها وسعادتها[2]، ولا يمكن أن تتحقق هذه الغاية إلا بتوفر عدة شروط أهمها:

أ-يجب أن تقوم على ركنين أساسيين هما:

- **القوة الحاكمة:** ووظيفتها جلب المصالح ودرء المفاسد، وهذه القوة ضرورة حتمية لأن الحياة لا تستقيم دون وجودها، فيقول: "وظيفة ولاة الأمور من أعظم واجبات الدين وأهم أمور المتوطنين، فهم قوام الدين والدنيا، وعليهم حركة الأعمال ومدار البركة بدونهم يختل نظام العالم لوجود المفسدين من بني آدم"[3].

-**القوة المحكومة:** وهي الأهالي والمواطنين الذين لا تتكون الدولة إلا من أجلهم وهؤلاء لا يستحقون تسميتهم الأهالي إلا إذا حازوا على الحرية، وتمتعوا بالمنافع العمومية فيما يحتاج إليه الإنسان في معاشه، ووجوه كسبه، وتحصيل سعادته، وتحقيق رفاهيته[4].

يؤكد على أن العلاقة بين هاتين القوتين يجب أن تكون في إطار قانوني، فقد تبنى فكرة الميثاق الدستوري الذي ينظم هذه العلاقة، وهي فكرة جديدة عن المجتمع العربي الإسلامي، حيث يعمل هذا الأخير على تحديد حقوق وواجبات كل من الحاكم والرعية بما

---

[1]- رفاعة الطهطاوي: الأعمال الكاملة، ج1، ص 517.

*- الدولة: تعني جماعة منظمة لها حكومة خاصة، تؤدي دور الشخص المسؤول على أعضاله، أو هي شخصية معنوية مسؤولة على المصالح العامة للأمة، وهي هذا تقابل المقاطعة أو المحافظة، أو البلدية ...إلخ :

Andrelalande Vocabulaire technique et critique de laphelosophie, PU.F, F; 1leme ed, 1972, Paris, P304

[2]- إسماعيل زروخي: الدولة في الفكر النهضوي العربي خلال القرن 19، ج2، ص 512

[3]- رفاعة الطهطاوي: المرجع السابق، ص 516

[4]- الطاهر لبيب: هل الديمقراطية مطلب اجتماعي ، ص 159

يضمن سلامة الدولة[1]، ويقول في هذا: «قد تأسست الممالك لحفظ حقوق الرعايا بالتسوية في الأحكام والحرية وصيانة النفس، والمال، والعرض على موجب أحكام شرعية وأصول مضبوطة مرعية، فالملك يتقلد الحكومة لسياسة رعاياه على موجب القوانين"[2].

نستنتج من هذا أنه دعا إلى نظام ديمقراطي مؤكدا أن هذا النظام قد ساهم في تقدم حياة الدول الأجنبية وتطورها، وإطلاق طاقاتها بينما ساهم انتكاسه عندنا في بقائنا لصيقي عصور التخلف والجمود.

3-الدعوة إلى فصل السلطات:

كان الطهطاوي أول من قدم باللغة العربية عرضا لقضية فصل السلطات في الدولة الحديثة، واكد أن تطور الدولة لا يكون إلا إذا استقام نظامها ولا يكون ذلك إلا بتقسيم الاختصاصات، وتنظيم وتقسيم السلطات على نحو قانوني من أجل ضمان السير الحسن لمؤسسات الدولة[3]، حيث يقول في ذلك "كما كانت السياسة جسيمة لا يقوم بها واحد اختص الملك بمعالي الأحكام وكلياتها، وخلع بعض نفوذه في جزئيات الأحكام على المحاكم والمجالس وجعل لوائح وقوانين خصوصية ترشد أفعالهم، ولا يتعدونها"[4]، وهو يرى أن فصل السلطات لا يعني صدورها عن إرادة منفصلة كما هو الحال في حكومات الإقطاع، بل أنها تصدر عن إرادة واحدة وهي ما تسمى في الفقه الدستوري الحديث سيادة الدولة[5]، فيقول في هذه القوى الثلاث ترجع إلى قوة واحدة هي القوة الملوكية المشروطة بالقوانين»[6].

---

[1]- الطاهر لبيب: هل الديمقراطية مطلب اجتماعي ، ص 159.

[2]- رفاعة الطهطاوي: الأعمال الكاملة، ج1، ص 519.

[3]- محمود فهمي حجازي :أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي، مجلة علم الفكر، العدد 1، 1973 ص 53.

[4]- رفاعة الطهطاوي: المصدر السابق، ص 519.

[5]- على بركات :رفاعة الطهطاوي مفكر سياسي مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، العدد1 ، 1977، ص 60

[6]- رفاعة الطهطاوي: الأعمال الكاملة، ج1، ص 506

ولا شك أنه أخذ هذه الفكرة عن مونتسكيو التي ضمنها في كتابه "روح الشرائع"اطلع عنه الطهطاوي أثناء وجوده في باريس[1].

وأهم ما جاء به الطهطاوي وحاول توضيحه هو ما يتعلق بالسلطة التشريعية، وسلطتهاالحديثة، حيث نجد أن مصر والعالم العربي لم يعرفا فكرة السلطة التشريعية المكونة بالانتخاب إلا عند اطلاعه على ترجمة الطهطاوي للدستور الفرنسي[2].

4-إقراره للحقوق المدنية:

يعتبر "الطهطاوي" من الأوائل الذين حاولوا تأصيل فكرة الحقوق المدنية في الدولة الحديثة، مؤكدا على أهميتها، وهو يقصد بها حقوق أهل العمران بعضهم على بعض، لحفظ أملاكهم، وأموالهم، ومنافعهم، ونفوسهم، وأعراضهم، ومالهم وما عليهم[3]، ويمكن تصنيفها إلى الحقوق الخاصة بالمساواة، والحقوق الخاصة بالحرية.

-**المساواة:**نبه "الطهطاوي" إلى أهمية المساواة في عملية التقدم والنهضة، لأنها تتيح الانطلاق الفردي، كما يؤكد على أهمية تغيير الحياة، وذلك لا يكون إلا لإتاحة الفرص أمام الجميع، للقيام بالأعمال التي تتيحها قدرات كل فرد[4]، والمساواة المقصودة هنا هي المساواة القانونية في الحقوق والواجبات، بصرف النظر عن موقع الشخص الاجتماعي أو عقيدته السياسية أو الدينية، حيث يقول معلقا عن المادة الثامنة من الدستور الفرنسي معبرا عن إعجابه بها «أما المادة الثامنة فلا ضرر فيها أبدا، بل من مزاياها أنها تحمل كل إنسان على تعهد حتى يقترب من منصب أعلى، وبهذا كثرت معارفهم ، ولم يقف تمدنهم على حالة واحدة مثل أهل الصين والهند ومن يعتبر توارث الصنع والحرف، ويبقى للشخص دائما حرفة أبيه»[5]، فانعدام المساواة عنده هو سبب تخلف الدولة العثمانية، فقد كانت الممارسة فيها

---

[1]- على بركات رفاعة الطهطاوي مفكرا سياسيا مجلة كلية التربية، ص 60

[2]- محمود فهمي حجازي: أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي، ص 56

[3]- رفاعة الطهطاوي: الأعمال الكاملة، ج1، ص 564

[4]- محمود فهمي حجازي: أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي، ص61.

[5]- رفاعة الطهطاوي: تخليص الإبريز في تلخيص باريس، ص142.

مبنية على أساس التمييز الطبقي، وهذا يتعارض مع هدف المساواة الذي لا يقتصر على التسوية بين الأفراد، بل يؤدي إلى تغيير حضاري في بنيان الأمة[1].

- **الحرية:** يعد "الطهطاوي" كما يقول "معن زيادة" أول مؤلف عربي دعى إلى فكرة الحريات في الدولة الحديثة، وربط بين التمدن والحرية، وجعل التمدن سبب من أسباب الحرية والحرية شرط من شروط التمدن، كما نجده يعبر عنها أحيانا بمفهوم العدل[2]، حيث يقول: «مما أعان على سعة دائرة التمدن في بلاد الدنيا، ترخيص جميع الملوك للعلماء وأصحاب المعارف في تدوين الكتب الشرعية والحكمية والأدبية والسياسية، ثم توسيع في حرية ذلك نشرا وطبعا وتمثيلا، ومن أعظم معين على التمدن حرية الملاحة والسياحة في البر والبحر، فإنها عادت على جميع ممالك الدنيا بالثروة والغنى والاطلاع على عجائب الدنيا"[3]. وهو يعرفها بأنها رخصة العمل المباح من دون مانع غير مباح، ولا معارض محضور، وهي بهذا المعنى وسيلة لتحقيق السعادة للأهالي والمجتمع[4].

عموما هذا كل ما جاء في النهضة السياسية عند الطهطاوي"، فنجده عمل على تجديدالفكر العربي السياسي التشريعي، وفق الحضارة الغربية، لكنه في نفس الوقت يدعو إلى التمييز بين ما هو مفيد وضروري، وما هو غير ملائم لنا.

المبحث الثاني: إسهاماته في الفكر الاجتماعي

عندما عاشر الطهطاوي المجتمع الأوروبي أدرك الفرق بينه وبين مجتمعنا العربي الإسلامي، وقد طرح مسائل اجتماعية في أكثر من كتاب له، أهمها مسألة وجوب التغيير الاجتماعي، ومسألة المرأة.

1-وجوب التغيير الاجتماعي:

[1]- إسماعيل زروخي: الدولة في الفكر النهضوي العربي خلال القرن التاسع عشر، ج2، ص489.

[2]- المرجع نفسه، ص 483.

[3]- رفاعة الطهطاوي: الأعمال الكاملة، ج2، ص 470.

[4]- المصدر نفسه، ص 573

يقصد به ما أطلق عليه مصطلح التمدن، فعنده هناك فرق أساسي بين التمدن" باعتباره تغيير حضاري، وتغيير الزي أو المظاهر الخارجية لحياة الأفراد، باعتبارها عرفا[1]، فالتمدن ليس في زينة الملابس، بل يقوم على تطوير الجانب الأخلاقي والاقتصادي في المجتمع، أي الجانب المعنوي والمادي، حيث نلمس اهتمامه اهتماما خاصا بالعمل وقيمته، فقد مجده وراءه وسيلة للتغيير الاجتماعي، كما يؤكد على أهمية الفرد الإيجابي في التطور الحضاري.

فالمجتمع الإنساني لا يرقى إلا بجهد الإيجابيين العاملين من أجله، فالمشاركة الإيجابية للفرد لتحقيق التمدن ضرورة لا غنى عنها، لإحداث التقدم المنشود ماديا ومعنويا[2].

وللعمل على تغيير المجتمع، يرى أنه من الضروري الإقلاع عن المثل القديمة والعادات السيئة، والارتفاع نحو المحاسن، والسمو إلى العادات الحسنة، والتوجه إلى ما يصلح المجتمع ويحدث التغيير فيه[3].

2-نظرة جديدة إلى المرأة:

كيف نظر الطهطاوي إلى المرأة؟ وما الدور الذي تلعبه في نهضة الأمة؟

يبرز موقف الطهطاوي بجلاء عند تدوينه لملاحظات عن المرأة الفرنسية في كتابه تخليص الإبريز، حيث توالت عبارات كثيرة عنها، تعبر عن إعجابه بما وصلت إليه من تمدن وثقافة، وما لها من منزلة عند الرجل، ويحكي عن المرأة الفرنسية كما لو كان قد اكتشف عالما جديدا مختلفا عما تركه في مصر[4].

ومع بداية القرن التاسع عشر، نادى الطهطاوي" بتحرر المرأة العربية من أسر الجهل والبطالة، وقد يكون أول من نادى بهذا في العصر الحديث، إلا أنه لم ينطلق في المطالبة

---

[1]- محمود فهمي حجازي: أصول الفكر العربي عند الطهطاوي، ص 80-81

[2]-محمود فهمي حجازي: المرجع نفسه، ص251

[3]- محمد عمارة: رفاعة رافع الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، ص289.

[4]- إقبال بركة :رفاعة الطهطاوي ونظرة قديمة جديدة إلى المرأة، مجلة العربي، الكويت ،العدد 1، 1999، ص107

بتحريرها انطلاق "قاسم أمين"*، الذي كانت دعوته تجديدية شاملة، كان يؤمن بأن تحرير المرأة هو تحرير المجتمع وإصلاحه، وكانت دعوته إلى السفور حدثاً خطيرا، وإذا كانت سنة 1872 هي سنة الدعوة إلى تعليم المرأة، فإن سنة 1897 هي سنة الدعوة إلى السفور، وإطلاق سراح المرأة من سجون المجتمع الرجولي[1].

"فالطهطاوي" لم يتعرض لمسألة الحجاب والسفور، ودعا إلى الحرية، ولكنه انحاز إلى حرية معتدلة، تطغى عليها تعاليم الإسلام التي تحترم المرأة[2]، كما أنه دعا إلى المساواة، لكنه لا يقصد بها أن نجعل المرأة كالرجل، فلم يريد أن يجعل منها رجلا، بل أكد على ضرورة المحافظة على مميزاتها التي تجعل منها مكملة للرجل[3].

فقد دافع عن المرأة ورفض النظر إليها كوعاء يصون مادة النسل، أما بالنسبة للاختلاط، وخروج المرأة ولباسها، فهذا في رأيه لا يؤدي إلى قلة العفة، فقد ذكر أن «وقوع اللخبطة بالنسبة لعفة النساء لا يأتي من كشفهن أو سترهن، بل منشأ ذلك التربية الجيدة، والخسيسة»[4]، كما أوضح أن مكانة المرأة وقيمتها في تلك المجتمعات بعبارته «وإذا دخلت امرأة على أهل المجلس لم يكن كرسي خالي قام لها رجل وأجلسها، فالأنثى دائما في المجالس معظمة»[5]، فهو يدعو إلى الرفع من درجة المرأة، كما يدعوها إلى الخروج للحياة العامة، ولم يحصر وظيفتها في إطار ما يدخل في الحياة المنزلية، ويؤكد على حقها في التعلم والعمل إلى جانب الرجل، وهي دعوة جريئة لم يعرفها المجتمع العربي من قبل.

---

*– قاسم أمين (1863–1908)، من مشاهير رجال الاجتماع في الشرق، طالب بتحرير المرأة من الجهل والحجاب، مؤلفاته: تحرير المرأة، المرأة الجديدة. حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب، ص 107.

[1]– قاسم أمين: تحرير المرأة، تقديم مصطفى ماضي، ، موفم للنشر، الجزائر، ط1990،2، ص7

[2]– أنور عبد الملك: نهضة مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دط ،1983،ص 334

[3]– محمد عمارة: رفاعة رافع الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، ص 341

[4]– رفاعة الطهطاوي: تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص62

[5]– المصدر نفسه، ص 173

بالإضافة إلى هذا تناول قضيتين أخرتين، مسألة الحب وتعدد الزوجات، فقد قرر شرعية الحب بالنسبة للبنت، وطالب الآباء والأمهات بمراعاة هذا عند تزويجها، فالحب عنده فن لا شهوة[1].

أما تعدد الزوجات، فيرى التعدد مكروها، والاقتصار على الزوجة الواحدة منبوذا[2] وذلك لتحقيق سلامة الأسرة، وبالتالي سلامة المجتمع، وخلوه من المشاكل الاجتماعية بما يحقق تقدمه.

فآراءه هذه عن المرأة جديدة وقديمة في آن واحد، لأنه داعية يفهم الإسلام والعادات العربية، ولم يرد تحرير المرأة إلا من الجهل والبطالة للنهضة بها، باعتبارها النصف الثاني في المجتمع.

المبحث الثالث: إسهاماته في الفكر التربوي

تناول "الطهطاوي" مسألة التربية في كتابه "مناهج الألباب المصرية"، لكننا نلمس أبعاد فكره التربوي، بأكثر وضوح وجلاء في كتابه المرشد الأمين، وقد تناول في هذه المسألة عدة قضايا أهمها ضرورة التربية، وضرورة تعليمها للبنين والبنات، وضرورة التثقيف الديني والسياسي، فما هو الدور الذي يلعبه هذا الجانب لتحقيق النهضة التي يدعو إليها؟

1-ضرورة التربية وأهميتها:

يرى أن التربية هي «تنمية الصغير جسدا وروحا وأخلاقا في آن واحد، يعني تنميةحسياته، ومعنوياته بقدر قابليته و استعداده»[3]، فهي في نظره ضرورة للإنسان في حاجة دائمة إليها، وواجبة على بني البشر وعبارته في هذا: «وبالجملة فتربية أولاد الملة وصبيان الأمة و أطفال المملكة ذكورا وإناثا من أوجب الواجبات، كيف لا والتربية مطلوبة حتى في غير الأدمي»[4]، وهو يرى أن التربية تنطلق أو تبدأ أولا من البيت، وهو يعيب على التربية

[1]- محمد عمارة: رفاعة الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، ص 359-360

[2]- المرجع نفسه، ص 367

[3]- رفاعة الطهطاوي: الأعمال الكاملة، ج2، ص 278.

[4]- المصدر نفسه، ص 292

خـارج البيوت كما هو في فرنسا، فيجب على الأمهات التعهد بتربية أبنائهن بقوله: «ثم إن تربية الولد ينبغي أن تكون في بيت أبيه وأمه، وهي التربية اللائقة»[1]، فهو لا يقتصر في التربية على الذكور فقط، بل يعممها إلى البنات ولا بعامة الناس فقط، بل أبناء الأمراء والأغنياء والسادة أيضا، لاعتبار عمومية التربية من سمات التمدن.

ومن مزايا التربية إطفاء نار حب الذات من الأولاد وتوجيهم توجيه سليما، لتهذيب خلقهم وتنمية عقولهم، وليس من مهمتها خلق الذكاء وقوله في هذا «وكمال التربية حمل المكلف على رعاية الحق للحق والخلق لينال خير الدارين التربية لا تفيد الذكاء ولا الألمعية... وإنما بالتربية تنمو العقول وتحسن الإدراكات»[2]، فغايتها تكوين شخصية متكاملة، قائمة على حب الوطن لبناء مجتمع متمدن، فنهضة الوطن هو غاية التربية، بل جوهرها عنده وأساس النهوض بالأمة يكمن في النهوض بالتربية، فالأمة مجموعة من الأفراد إذا حسنت تربيتهم كانت أمة سعيدة، يرقى بها الوطن[3].فالتربية سبيل للتمدن، كما اعتبرها سبيل للديمقراطية، والذي يؤدي إلى الحرية باعتبار الحرية من صفات التمدن وعبارته بالجملة فمن شمر عن ساعده وجد مفتاح المجد فالأمة التي تتقدم فيها التربية، يتقدم فيها أيضا التمدن على وجه تكون به أهلا للحصول على حريتها ... فالتربية هي أساس الانتفاع بأبناء الوطن»[4].

2-وجوب تعليم البنات والبنين معا:

قسم "الطهطاوي" التربية إلى حسية ومعنوية، واعتبر التعليم جزء من التربية المعنوية، وقد تداخلت عنده التربية والتعليم والتعليمات في مواضع كثيرة ، باعتبار أن التعليم جزء من التربية، أي أن التربية العمومية تضم كل مراحل التعليم، ويدخل فيها التعليم العالي أيضا،

---

[1]- رفاعة الطهطاوي: الأعمال الكاملة، ج2، ص 295

[2]- المصدر نفسه، ص 278

[3]- حسين عبد الرحيم عليوة: رفاعة الطهطاوي مربيا مجلة كلية التربية جامعة المنصورة، العدد1، 1977، ص89

[4]- رفاعة الطهطاوي: المصدر السابق، ص 279

وقد فصل في أنواع ومراحل التعليم[1]، حيث قسمه إلى تعليم أولي وثانوي وعالي[2]، ولا يقتصر مراحل التعليم هذه على البنين فقط، بل على البنات أيضا، ويعتبر أول داعية لتعليم المرأة في مصر بل في الشرق كله[3]، وهو يرى بضرورة تعليم البنت لأسباب من بينها الزواج المتجانس، وإمكانية أدائها للعمل، حيث يقول : ينبغي صرف الهمة في تعليم البنات والصبيان معا لحسن معاشرة الأزواج ... وليمكن المرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاطى من الأشغال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها[4].

أما من الناحية الدينية، فهو يرى أن تعليم البنات لا يتناقض والنزعة الإسلامية وهو جائز ومرغوب فيه، فقد استشهد ببعض الأحاديث النبوية، فقال: «فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «علمي حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة» أي الخط والهجاء»[5]. فهو يرغب في تعليم البنات إلى جانب الصبيان.

3-ضرورة التربية الدينية والسياسية:

كان للدين وضرورة قيام التربية عليه عمود فكر الطهطاوي" التربوي، ولا يعني هذا أنهلم يهتم بالجوانب الأخرى، فقد أعطى للتربية السياسية دورا هاما، ودعا إلى وجوب التثقيف السياسي، فما ضرورة كل منهما؟

ترجع أهمية التربية الدينية إلى أنها تشكل المنطق السلوكي والأسلوب الصحيح للإنسان المتحضر، فلقد رفض "الطهطاوي" الرأي القائل بتكوين السلوك الفردي، اعتمادا على معايير أخلاقية عامة دون النظر في الدين، وأوضح بعبارات كثيرة أهمية الدين في بناء الحضارة، وأن الإسلام، أتى بمجموعة من الأصول والأحكام أتاحت الازدهار الحضاري[6]،

---

[1]- محمود فهمي حجازي: أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي، ص 97-98

[2]- رفاعة الطهطاوي: الأعمال الكاملة، ج 2، ص 367

[3]- جمال الدين الشيال: رفاعة رافع الطهطاوي، ص 51

[4]- رفاعة الطهطاوي: المصدر السابق ، ص 393.

[5]- رفاعة الطهطاوي: المصدر السابق ، ص 395.

[6]- محمود فهمي حجازي: أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي، ص251.

فالتمدن يستند على ركائز أهمها: تهذيب الأخلاق بالآداب الدينية والفضائل الإنسانية، وهذا ما تتكفل الشريعة الإسلامية بتلبيته[1].

ويرى أن الأمة المتشبثة لدينها، هي الأمة السعيدة بعبارته «فما أحسن الأمة التي تهذب أخلاق أبنائها على ما وردت به الشريعة الغراء، فهذه الأمة هي السعيدة دنيا وأخرى»[2]

أما بالنسبة للتربية السياسية، فإنها تعد ركن من أركان التعليم في الدولة الحديثة مثلها مثل التربية الدينية، ولذلك أكد على ضرورة وجود وعي سياسي عند الأفراد في الدولة[3]، وهذا الوعي يتمثل خصوصا، كما يقول الدكتور إسماعيل زروخي في الوعي بالمواطنة وما تفرضه على المواطن، هذا الوعي الذي أصبح أحد الركائز الأساسية للدولة الحديثة، ولا يتم ذلك إلابالتربية السياسية[4].

فالمصلحة العامة للوطن، تتحقق بالتربية السياسية، فالتثقيف السياسي له تأثير معنوي فيتهذيب الأخلاق، ومنه تفهم الأهالي أن مصالحها الخصوصية والشخصية لا تتم ولا تتمركز إلا بتحقيق المصلحة العمومية التي هي مصلحة الحكومة ومصلحة الوطن[5].

من هنا نرى أنه قرن السياسة والدين بالتعليم، فطالب بجعلهما ركنين هامين من أركانه في الدولة الحديثة، وباعتبار التعليم جزء من التربية، فإن الوعي الديني والسياسي هام في عملية التربية وقيام النهضة.

المبحث الرابع: إسهاماته في الفكر العلمي

كان العلم في الشرق، وفي مصر بالذات مقتصرا على العلوم الدينية، ولكن الطهطاوي عرف العلم الغربي بمعناه الحديث وبمفهوم جديد، وسنتناول في فكره العلمي دعوته إلى وجوب الخروج عن المعنى الضيق للعلم، وإعطاء ضرورة له من أجل قيام

---

[1]– حسن الضيفة: الطهطاوي وعقيدة التحديث، ص 131

[2]– رفاعة الطهطاوي: الأعمال الكاملة، ج 2، ص 291

[3]– محمود فهمي حجازي: أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي، ص252.

[4]– إسماعيل زروخي: الدولة في الفكر العربي النهضوي خلال القرن التاسع عشر، ص 460.

[5]– رفاعة الطهطاوي: المصدر السابق، ص 518.

حضارة، كما اهتم بإنشاء المؤسسات العلمية، ورأى بضرورة الدور الذي تلعبه في عملية التمدن، ودعا دعوة صريحة وواضحة إلى تطوير الأزهر ومناهجه.

1-مفهوم العلم والضرورة الحضارية له:

أعطى مفهوما واسعا للعلم، وبين أنه لا يقتصر على الدين والشرع فقط، بل هو متعدد المجالات، حيث رغب في الأخذ عن الغرب وهو على ثقة من أن طريق التقدم مرتبط بأخذ العلم من هؤلاء ومعرفة ما عندهم من مناهج في البحث ومؤسسات علمية[1]، حيث رأى مشروعية أخذ هذا العلم للدور الذي يلعبه في هيكل الحضارة الحديث، فالعلم لا يقتصر على فروع بعينها، بل يتناول كل جوانب الحياة، والكون والإنسان وكافة المعارف، في رأيه أن العلوم الأدبية وحدها لا تكفي بل يجب أن تكملها العلوم الحقيقية أو الدقيقة، فالمعارف الأدبية و العلوم الحقيقية متعلق بعضها ببعض، وأن كل منهما متوقف على الآخر[2].

أما بالنسبة لضرورة العلم، فبالإضافة إلى دوره الطبيعي والذي هو محاربة الجهل، فهوطريق للتقدم والحضارة، حيث يعتبر أن العلم الغربي ضرب من الحق، يجب اتباعه حيث يقول:«فإن كمال ذلك ببلاد الإفرنج أمر ثابت شائع والحق أحق أن يتبع »[3]، فلا تقدم بدون علم، وكل حضارة يجب أن تقوم عليه، وليس فقط العلم محاربة للجهل أو طريق للحضارة، حيث أنه عندما تحدث عن قيمة العلم في الحياة الدنيا، بل أكد أن تعلم العلم والانشغال به هو قيمة في حد ذاته، بل ونوع من التطبيب للنفس البشرية تبرأ به من كثير من همومها ووساوسها[4]، حيث قال: «دراسة العلم في حد ذاته أفضل ما يشتغل به الإنسان، وأحلى ما يصرف فيه أوقات حياته وأفضل لذات الدنيا ... و أعلم أن كل العلوم شريفة ولكل علم منها فضيلة »[5]، ولهذا رغب في أخذ علم الغرب، لأن معيشة الناس ترقى بالعلوم وبسائر العلوم

---

[1]- محمود فهمي حجازي: أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي، ص113.

[2]- رفاعة الطهطاوي: الأعمال الكاملة، ج2، ص421

[3]- رفاعة الطهطاوي: تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 4

[4]- رفاعة الطهطاوي: مقدمة الأعمال الكاملة، ج1، ص 225

[5]- المصدر نفسه، ص ن.

تنتظم الممالك، وتحسن الحالة المعاشية، ويتقدم الناس في سبيل العمران[1]، ثم إن الطهطاوي أخذ بأيدينا إلى آفاق رحبة، يجعل فيها العلم يتسع باتساع العالم الذي يمكن أن تمتد إليه إدراكات الإنسان، ويتصل بمصلحة الدارين الدين والدنيا[2]، ولهذا قام بترجمة علومهم، قصد اتباع أمته لها والأخذ بها، كما دعا إلى إقامة مؤسسات علمية، فما ضرورتها؟

2-المؤسسات العلمية وضرورتها:

اهتم بالمؤسسات العلمية، وأشاد بدورها في عملية التمدن والنهضة، وقد أطلق على هذه المؤسسات مصطلح مجامع العلماء والطهطاوي أول من كتب باللغة العربية على هذه المؤسسات الحديثة[3]، وهذه المؤسسات تتمثل في المكتبات العلمية، والمتاحف العلمية، والآثار الدينية، والمعاهد العلمية والجمعيات بقوله: "ولنذكر لك مجامع العلماء والمدارس المشهورة وخزائن الكتب ونحو ذلك لتعرف به مزية الإفرنج على غيرهم"[4]، وهو يشيد بوجود المدارس في فرنسا، لقوله: «ثم إنه يكثر بباريس مدارس سائر العلوم والفنون والصنائع»[5]، فهو بحديثه عن هذه المؤسسات يبرز دورها في نفس الوقت، حيث اعتبر هذه المكتبات والجمعيات مكملا لما يوجد في الكتب من معارف وعلوم، ولذلك كان يأمل بإنشاء مثل هذه المؤسسات في وطنه ولم تكن هذه أمالا فقط، بل كانت حقائق، فقد عمل عند عودته من باريس على إنشاء عدة مؤسسات كما ذكرنا من قبل ، فأنشأ مدرسة الألسن قلم الترجمة، مدرسة للبنات والبنين بالإضافة إلى مجلات، كما ساهم مساهمة فعالة في الوقائع المصرية"، وأنشأ مدرسة التاريخ والجغرافيا وغيرها، وقد كان يرى بضرورة هذه المؤسسات لما تلعبه من دور كبير في التوعية و التثقيف.

3-وجوب تطوير الأزهر:

---

[1]- رفاعة الطهطاوي: المصدر السابق، ص 123

[2]- سعيد إسماعيل علي: مفكرون من أعلام التربية، ص228

[3]- محمود فهمي حجازي: أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي، ص118

[4]- رفاعة الطهطاوي: تخليص الإبريز في تلخيص باريز، ص 238

[5]- المصدر نفسه، ص 244

في وقت الطهطاوي"، كانت علوم الأزهر مقتصرة على العلوم الدينية والأدبية فقط، ولذا نادي بضرورة تعميم العلوم إلى العلوم العصرية، باعتبار لا تقدم بدون تكامل المعارف، وكان في طليعة المنادين بإصلاح منهاج الأزهر، حيث لاحظ أن الحياة الفكرية والاجتماعية في مصر،أخذت بتأثير الاحتكاك المستمر في أوروبا تتطور نحو الاتجاه الجديد بسرعة، ولم يكن الأزهر بعيدا كل البعد عن هذه الحركة الثقافية العظيمة، ولكنه بقى مع ذلك بمعزل عن هذه المؤثرات والاتجاهات الفكرية الجديدة، قانعا بدراساته ومناهجه القديمة"[1]. ولفت انتباهه محدودية معلومات الأزهر، وعدم تنوعها، ولما كان الأزهر في القديم مورد للعلوم أراده أن يعود إلى مكانته القديمة، حيث كانت طلبة العصر تلجأ إليه باعتباره مورد الثقافة الوحيد يومئذ[2].

ويعتبر "الطهطاوي" هذه العلوم الغربية ليست غريبة عن المسلمين، لأن أصلها كما يرى ومنبعها الأول هو العالم الإسلامي، لا سيما أن هذه العلوم الحكمية العملية التي يظهر الآن أنها أجنبية هي علوم إسلامية نقلها الأجانب إلى لغاتهم من الكتب العربية»[3]، ودعوته صريحة و واضحة وجهها إلى علماء الأزهر وعصبته بقوله: "ينبغي أن تضيف إلى ما يجب عليها من نشر السنة الشريفة، ورفع أعلام الشريعة المنيفة معرفة سائر المعارف البشرية والمدنية، التي تدخل في تقدم الوطنية...فلا يجب أن يكتفي الأزهر بتلك المعارف المحدودة، لأنها لا تفي بإيصال الأمة إلى المرتبة المطلوبة، فهذا وحده لا يفي للوطن بقضاء الوطر»[4]، وهذا لملاحظته وتأكده للدور الأساسي الذي يلعبه الأزهر في النهضة الوطنية.

---

[1]– محمد عبد الله عنان: تاريخ الجامع الأزهر، ص 249–250

[2]– المرجع نفسه، ص 241

[3]– رفاعة رافع الطهطاوي: الأعمال الكاملة، ج2، ص534

[4]–المصدر نفسه، ص 533.

المبحث الخامس: إسهاماته في الفكر الاقتصادي

أعطى "الطهطاوي" اهتماما خاصا للمسألة الاقتصادية في كتاب "مناهج الألباب المصرية" وأولى اهتماما بالغا بالعمل باعتباره منبع للثروة، كما اهتم بالإنتاج ووظيفته في بناء الدولة الحديثة، كما بين دور الدولة في هذا الميدان.

1-العمل منبع الثروة:

يعتبر العمل عمود الإنتاج، حيث شاد بأهميته في الميدان النهضوي الاقتصادي إلى جانب رأس المال، هذا الأخير الناتج من العمل، وقد تساءل حول منبع الثروة، «هل منبع الغنى والثروة وأساس الخير والرزق هو الأرض؟... أو أن الشغل هو أساس الغني والسعادة ومنبع الأموال المستفادة، وأنه هو الأصل الأول للملة والأمة"[1]، ثم أجاب بأن منبع السعادة الأولى هو العمل، والكد، ومزاولة الخدمة[2]، فيعتبر العمل هو معقل المال، وأساس القيمة، وهو في هذا يرفض اعتبار الملكية ورأس المال القيمة في الإنتاج[3]، باعتبار أن العمل يؤدي إلى الغنى والغنى مظهر القوة، فالمال هو الخير في الأمة، بشرط الإنصاف وحسن الاستغلال، حيث يذهب إلى أن الخير المشار إليه في القرآن هو المال، إذا كان مصروف في خير[4]، فهو يعتبر أن العمل هو أساس التمدن المادي، لا يمكن الاستغناء عنه: «وهو لازم لتقدم العمران»[5]، كما يعتبره أداة للتمييز بين الأمم، فالعمل بشقيه العلمي والمادي، هو منبع الثروة وسبيل الرفاهية والازدهار، وهو أداة الإنتاج، وبالتالي يجب السعي والكسب لتحقيق صلاح الأمة.

---

[1]- رفاعة الطهطاوي: الأعمال الكاملة، ج2، ص 310

[2]- المصدر نفسه، ص 312

[3]- على المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، ص 178

[4]- سعيد إسماعيل علي: مفكرون من أعلام التربية، مجلة التربية، ص616

[5]- رفاعة الطهطاوي: المصدر السابق، ص 251

2-دور الإنتاج في البناء:

كما هو شائع أن تقدم الأمم يقاس بكمية الإنتاج فيها، حيث عبر "الطهطاوي" عن الإنتاج ومجالاته بالمنافع العمومية، والتي يعتبرها من فنون الأعمال للوصول إلى الأموال التي تؤدي إلى حسن الحال والسعادة[1]، حيث أن الزراعة والصناعة والتجارة من الأعمال المنتجة في حين اعتبر الخدمات غير المنتجة، بل هي منظمة فقط للإنتاج، ولا يعني هذا أنه لم يولها اهتماما معينا، فالأعمال المنتجة هي مقياس أموال الأمم[2].

3-دور الدولة في النشاط الاقتصادي:

باعتبار الدولة هي ساحة النشاطات والمسؤولة عليها، فإن الطهطاوي" أبرز عدة واجبات، ينبغي أن تقوم بها الدولة في المجال الاقتصادي، وهي إتاحة الحرية الاقتصادية وتوجيه الإنفاق إلى المشروعات الهامة، وتنظيم التعامل الاقتصادي بقوانين حديثة، وتشجيع التجارة الخارجية، وتعد الحرية الاقتصادية أكبر درجة من الحريات الأخرى في المجتمع الحديث، ولا بد للدولة إتاحة ممارسة الأنشطة الاقتصادية دون محدودية أو قوانين جائرة تحد من ذلك في مقابل هذا يجب عليها تأمين هذا الاقتصاد، وحفظ الممارسين من النشاطات والأعمال المادية، كما يجب عليها تسهيل العمليات التجارية والمبادلات وتسويق المنتجات، لما يؤديه اختلاط المنتجات وتبادلها إلى نظام موحد، يخدم مصالح الجميع[3].

وقد أوضح مشروعية النظام الاقتصادي من وجهة إسلامية، وما ينتج عن التبادل مع الغرب بعبارته ومن أمعن النظر في كتب الفقه الإسلامية، ظهر له أنها لا تخلو من تنظيم الوسائل النافعة من المنافع العمومية، حيث بوبوا للمعاملات الشرعية أبوابا مستوعبة للأحكام التجارية، كالشركة، والقرض ...، وإنما مخالطات تجار الغرب ومعاملتهم مع أهل الشرق، أنعشتنوعا ما همم هؤلاء المشارقة، وجددت فيهم وازع الحركة التجارية»[4].فالتبادلات كما يرى

---

[1]- رفاعة الطهطاوي: الأعمال الكاملة، ج2، من 343

[2]- محمود فهمي حجازي: أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي، ص 75

[3]- المرجع نفسه، ص 76

[4]- رفاعة الطهطاوي: المصدر السابق ، ص329

تجدد الحياة الاقتصادية، وانتعاش الحياة الوطنية بأكملها، ولا يتم هذا إلا تحت مسؤولية الدولة.

نستنتج من هذا، أن الطهطاوي قد حاول إدخال مبادئ الاقتصاد الرأسمالي الفرنسي المتطور، والمظاهر الاجتماعية لهذا الاقتصاد، فأكد على ضرورة العمل، واستغلال الثروات وذلك من أجل تحقيق المكاسب والأرباح، لكن من جهة أخرى نبه إلى سلبياته، باعتباره رجل مسلم، انتقد الربا في هذا النظام، ومظاهر الصراع في المجتمع الرأسمالي على الكسب والإفلاسات التي تذهب بثروات الأغنياء[1].

[1]– رفاعة الطهطاوي: مقدمة الأعمال الكاملة، ج1، ص 101

الخاتمة

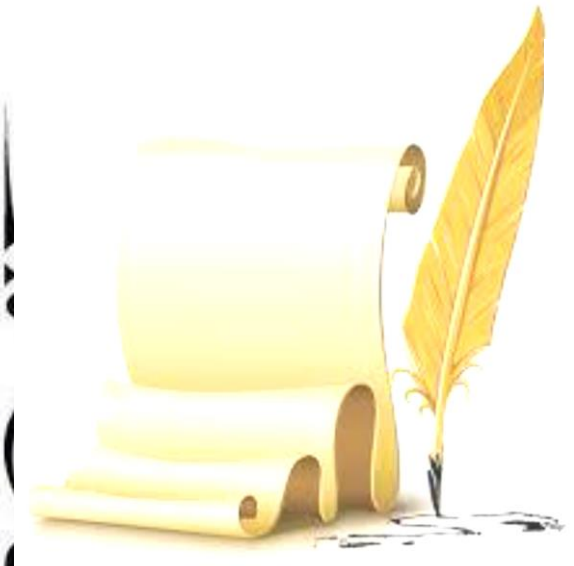

خاتمة:

بعد انتهائنا من دراسة هذا الموضوع، لم يبق لنا إلا أن ننوه إلى مجموعة النتائج هدانا إليها البحث وأملاها علينا، منها:

-يعتبر الطهطاوي بحق من المفكرين الأوائل الذين تأملوا عن وعي وتبصر، النهضةالأوروبية، وحاولوا إدخالها إلى مجتمعهم قصد النهوض بأمتهم لمسايرة الركب الحضاري الذي تشهده أوربا.

- إن النهضة التي يدعو إليها الطهطاوي لا يفهم منها أنها تقوم على منطلقات خارجية بقدر ما هي نهضة تستمد مقوماتها الروحية من أصالة مجتمعنا العربي الإسلامي، والتفتح على الأمم الأخرى لتزيدها قوة ومسايرة لروح العصر.

معنى هذا أن موقفه من النهضة كان توفيقيا، فهو يدعو إلى الأخذ عن الثقافة الأوروبية الغربية وعلومها، وصناعاتها بوجه خاص، لكن شريطة ألا يكون هذا الأخذ والتفتح يتناقض مع مقومات مجتمعه، كما لا يكون أخذا بالمظاهر فقط، أو في زينة الملابس، بل يكون في المبادئ والأسس التي تنفعنا ولا تضر بشريعتنا.

-إن النهضة التي يدعو إليها الطهطاوي لم تكن أحادية الجانب، بل كانت شاملة ومتعددة الجوانب في السياسة والمجتمع، والتربية والاقتصاد، وأكد على ضرورة التكامل بينها، فنجده في مجال التربية والتعليم حاول غرس الوعي السياسي والديني في الأفراد، لضمان السير الحسن لمؤسسات الدولة في مختلف الجوانب.

- يعتبر الطهطاوي من الأوائل الذين أعطوا مفهوم للوطن، يقوم على الإطار المكاني بدل الإطار الديني، وذلك لتمييز بلده مصر عن الأمة الإسلامية، كما أكد على فكرة الميثاق الدستوري لتحديد العلاقة بين الحاكم ورعيته، الذي يضبط واجبات وحقوق كل واحد دون استبداد بالسلطة، أو تخطي للحدود.

- يعد من الأوائل الذين تحدثوا على فكرة فصل السلطات في المجتمع العربي، لضمان السير الحسن لمؤسسات الدولة، لتحقيق نهضة سياسية، ونادى بفكرة السلطة التشريعية التي

تقوم على الانتخاب، مؤكدا على ضرورة المساواة القانونية بين الأفراد، وتمتعهم بالحرية المدنيةوذلك تجسيدا لمبادئ السياسة الديمقراطية التي حاول إدخالها إلى وطنه.

– حاول الطهطاوي تغيير النظرة التي كانت سائدة عن المرأة في المجتمع العربي الإسلامي، وقدم نظرة جديدة التي من شأنها أن تحقق النهضة التي يدعو إليها، لأنه لا يمكن قيامها على الرجل دون المرأة، لاختلاف أدوارها في الأساس، واكتمالها في الهدف، الذي هو إصلاح المجتمع العربي، النهوض به إلى أعلى مستوى من الازدهار والتقدم الذي تعيشه أمم أخرى.

– عمل على تغيير المناهج التربوية التي كانت سائدة في مصر، وخاصة بالأزهر، وتقديم مناهج حديثة من شأنها أن تحقق النهضة العلمية التي هي من الدعائم الأساسية لقيام نهضة شاملة معتمدا في ذلك على ترجمة امهات الكتب في مختلف المجالات.

–حاول إقامة نظام اقتصادي ينسجم ونظرته التوفيقية بين مقتضيات إسلامية تفرضها عليه أصالته، وضرورات أنظمة حديثة مبينا مدى قدرتها على تحقيق الإنتاج والرفاهية في المجتمع ورقيه.

ونشير في الختام إلى أن الطهطاوي يعرض علينا تقسيما اجتماعيا جديدا للبشر، يقوم على معيار التقدم والتمدن بدل المعيار القديم، وهو الكفر والإيمان.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر :

- رفاعة رافع الطهطاوي : الاعمال الكاملة ج1(الحضارة والتمدن والعمران)دراسة وتقديم محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط1 ،1973.
- رفاعة رافع الطهطاوي : الاعمال الكاملة ج2(السياسة والوطنية والتربية)دراسة وتقديم محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط1 ،1973.
- رفاعة رافع الطهطاوي : تخليص الابريز في يتلخيص باريز، تقديم الصغير بن عمار،موفم للنشر ، الجزائر ، 1991.

-المراجع

- ألبرت حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة، ترجمة كريم عز قول، ، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، د ط، 1939
- أنور عبد المالك: الفكر العربي في معركة النهضة، ترجمة بدر الدين عرودكى، ، دار الأدب، ط1981،3
- أنور عبد المالك: النهضة مصر، د ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983.
- يودين روزنتال: الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم، ، دار الطليعة، بيروت، ط7 1997
- بيان الصفدي، رفاعة الطهطاوي، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، 2020.
- جمال الدين الشبال تاريخ الترجمة، والحركة الثقافية في مصر، دار الفكر العربي، مصر، د ط ،1951
- جمال الدين الشبال: التاريخ والمؤرخون في مصر، ، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، د ط ،د.ت.
- جمال الدين الشيال .:تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في عصر محمد علي، ، مطبعة الاعتماد بمصر، دار الفكر العربي، د.ط ،دت ،1951
- حسين فوزي النجار، رفاعة الطهطاوي، رائد فكر وإمام نهضة سلسلة أعلام العرب، ط، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، دط ،د ت
- حنا الفاخوري: الجامع في تاريخ الأدب العربي، ، دار الجيل، بيروت، ط1، 1986.
- سلامة موسى: ما هي النهضة، ، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ط1 ،1962

- طاهر لبيب :هل الديقراطية مطلب اجتماعي مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1،1992
- عاطف العراقي: العقل والتنوير في الفكر العربي المعاصر، ، دار قياء للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 1998
- عبد الرحمن منيف وآخرون: الحداثة النهضة التحديث دط، مؤسسة عيبال للدراسة والنشر، دط، 1990
- عبد العزيز نوار، النهضة العربية الحديثة ط1، 2002م، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم.
- عبد المنعم شميس: عظماء من مصر، د ط، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، القاهرة، ط1،د ت.
- عبده الحلو: معجم المصطلحات الفلسفية فرنسي عربي، د ط، المركز التربوية للبحوث والإنماء، مكتبة لبنان، د ت
- عزت قريني: العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة، عالم المعرفة، 1980.
- على المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798–1914، الأهلية للنشر والتوزيع، دط، 1987، بيروت
- علي عبد الحفيظ مرسي: التحول الحضاري في فكر الشيخ رفاعة الطهطاوي، جامعة أسيوط،دط ،دت.
- عمر عبد العزيز: دراسات في تاريخ الأدب الحديث والمعاصر، د.ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د.ط، 1990
- قاسم أمين: تحرير المرأة، تقديم مصطفى ماضي، ط2، موفم للنشر، الجزائر، ط2 1990
- محمد أركون: الفكر العربي، ترجمة عادل العواء ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2 ،1982، ص 195
- محمد عبد الله عنان: تاريخ الجامع الأزهر، ، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، د ط ،1958،
- محمد عمارة: العرب والتحدي، ، دار الشروق، ط1 ، القاهرة، 1414هـ / 1991م

- محمد فؤاد شكري وآخرون، بناء دولة مصر محمد علي السياسة الداخلية، ، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1948
- مفيدة محمد إبراهيم: عصر النهضة بين الحقيقة والوهم 1419–1999 دار مجدلاوي للنشر، الأردن دط، دت.
- خير الدين التونسي: أقوام المسالك في معرفة أحوال الممالك، ، الدار التونسية للنشر، د ط ،دت.

-الموسوعات والمعاجم الفلسفية

- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد خليل، المجلد الأول، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001.
- ابن منظور: لسان العرب، تقديم: عبد الله العلايلي مج3، دار لسان العرب، بيروت،دط، د ت ،1973
- إعداد هيئة الأبحاث والترجمة: القاموس العربي الشامل، دار الراتب الجامعية، 1967.
- عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج2، ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1990

-الرسائل الجامعية:

- إسماعيل زروخي: الدولة في الفكر النهضوي العربي خلال ق 19، ج2، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في الفلسفة، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، 1996

المجلات والدوريات العلمية

- أحمد داخر ناصر، بواكير النهضة في الفكر الليبرالي العربي الطهطاوي نموذجا، مجلة الآداب، العدد 106، البصرة، كانون 2023،
- إسماعيل زروخي، الدولة الوطنية وأصالتها عند الأمير عبد القادر، مجلة سيرتا، العدد 12 ، منشورات جامعة قسنطينة، 1420هـ،
- إقبال بركة رفاعة الطهطاوي ونظرة قديمة جديدة إلى المرأة، مجلة العربي، العدد 1،الكويت، 1999،
- حسن الضيقة: الطهطاوي وعقيدة التحديث، مجلة الفكر العربي، العدد 45، 1987

- حسين عبد الرحيم عليوة: رفاعة الطهطاوي مربيا مجلة كلية التربية ، العدد1،جامعة المنصورة، ،1977
- رشيد مقدم: المشروع النهضوي عند رواد حركة الإصلاح الديني في عصر النهضة جمال الدين الأفغاني نموذجا، مجلة قضايا تاريخية، العدد 2، 2016
- زهير الذوادي: نهج رفاعة الطهطاوي: المشروع الحضاري المناقض للاستبداد، مجلة الموروث، العدد 04، 2014
- سعيد إسماعيل علي، مفكرون من أعلام التربية مجلة التربية، مطبوعات اليونسكو، مج 1
- عادل أبو عمشة: أثر الحضارة الغربية على جهود رفاعة الطهطاوي في اللغة والأدب، مجلة النجاح للأبحاث ع7، مج2، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 1993م-1414هـ
- لغواطي يامين:حاروش نور الدين، رفاعة الطهطاوي بين هويته الإسلامية وفكره الليبرالي ، المجلة الدولية للبحوث القانونية والسياسية ، حامعة الوادي، 2022.
- محمود فهمي حجازي: أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي، مجلة عالم الفكر
- إسماعيل: زروخي: مفهوم الوطن في الفكر العربي الحديث، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 9، جامعة قسنطينة، 1998
- محمود فهمي حجازي: أصول الفكر العربي الحديث عند الطهطاوي، مجلة عالم الفكر، مج4، العدد 1

مواقع الأنترنت:

- أحمد محمد سالم: الخطاب الإصلاحي عند رفاعه الطهطاوي، http://www.alhiwartoday.net/node/1355 لفضيلة الشيخ خالد حسن هنداوي. بتاريخ: 2024/05/17 على الساعة: 14:00.
- https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=163131 ،2024/04/15، على الساعة 13:00.

المعاجم بالفرنسية:

- Andrelalande Vocabulaire technique et critique de la phelosophie, PU.F, F; 1leme, 1972, Paris

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
شكر التقدير	
مقدمة	أ–د
الفصل الأول: إرهاصات النهضة العربية	
المبحث الأول: مفهوم النهضة	**7–6**
المبحث الثاني: عوامل النهضة العربية	**13–8**
المبحث الثالث: الاتجاهات الفكرية للنهضة العربية	**24–14**
الفصل الأول: ماهية النهضة عند رفاعة الطهطاوي	
المبحث الأول: مفهوم النهضة عند رفاعة الطهطاوي	**27–26**
المبحث الثاني: منطلقات الفكر النهضوي عند رفاعة الطهطاوي	**33–28**
المبحث الثالث: شروط النهضة عند رفاعة الطهطاوي	**41–34**
الفصل الثالث: دور رفاعة الطهطاوي في حركة النهضة العربية	
المبحث الأول:إسهاماته في الفكر السياسي	**48–43**
المبحثالثاني:إسهاماته في الفكر الاجتماعي	**51–49**
المبحث الثالث: إسهاماته في الفكر التربوي	**54–52**
المبحث الرابع: إسهاماته في الفكر العلمي	**58–55**
المبحث الخامس: إسهاماته في الفكر الاقتصادي	**61–59**
خاتمة	**65–63**
قائمة المراجع	**69–67**
فهرس المحتويات	